الأحاديث الهامة
في
إرشاد العامة

جمع وترتيب

حسين محمد حسين مجوش

وكيل معهد المنشاوي باشا بطنطا

(الطبعة الأولى)

١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م

obeikandl.com

obeikandl.com

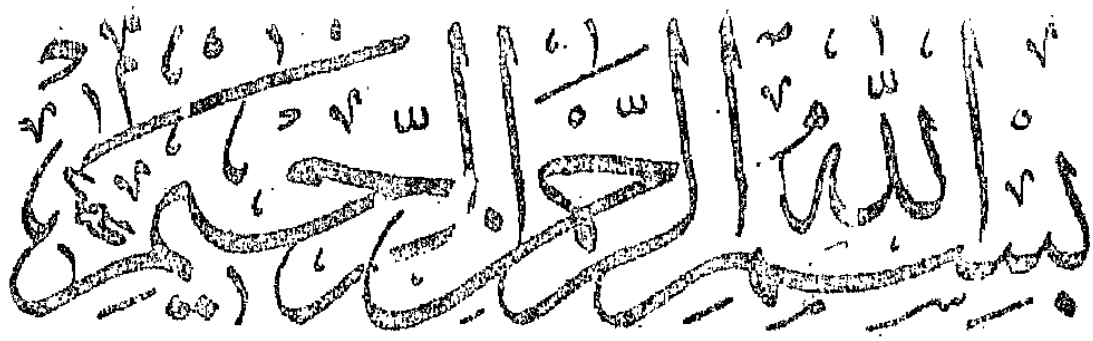

والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فقد قويت رغبتي في أن أقسوم بجمع ماتفرق في الكتب المعتد بها من الأحاديث الصحيحة مما عثرت عليه أثناء قيامي بارشاد المسلمين مدة ثلاثين سنة . مختصراً على ماتعلق منها بالأحكام والأخلاق مما لم يرتفع فيه صلى الله عليه وسلم عن المستوى العادي ليسهل على من اطلع عليه فهمه وليكون كمفكرة جيب يرجع إليها حاملها فيما يحتاج إليه من الضروري في دينه فيتذكر ماقد نسي أو يتنبه الى ماعنه قد غفل أو ماله قد جهل راجياً من الله السداد أنه المولى الرءوف بالعباد والمحقق لما له العبد قد أراد .

وسميت هذه المجموعة (الأحاديث الهامة في إرشاد العامة)

آملا أن لا يجانبني الإخلاص في حب النفع والانتفاء فلا يثمر عمل جانبه الإخلاص والله ولي التوفيق .

وقد علقت على بعض الأحاديث بتعليقات سهلة تكاد تكون عادية تجنبت فيها التعمق والإغراب إذ هي للعامة وعليه فليعذرني الخاصة . وقد ضبطت هذه الأحاديث بالشكل لتفادى اللحن في الحديث .

وكما تعرضت للمقام النبوي بذكر الأحاديث المبينة لفضله على هذه الأمة صلى الله عليه وسلم .

تحريراً في ٢٠ المحرم سنة ١٣٦٩ الموافق سنة ١٩٤٩ م

حسين محمد حسن مخلوف
خادم العلم بالمعهد المنشاوي
بطنطا

obeikandl.com

الأحاديث الهامة

فى إرشاد العامة

الباب الاول

فى علاقة العبد بربه والناس

قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى :

أنا الله مَلِكُ الملوكِ قلوبُ الملوكِ ونواصيها بيدى فإنْ العبادُ أطاعونى جعلتُهم لهم رحمةً وانْ هم عصونى جعلتُهم عليهم عقوبةً فلا تشتغلوا بسبِّ الملوكِ ولكنْ أطيعونى أعطفْهم عليكم

سب الملوك والحكام لا يخلصنا من قسوتهم . وإنما المخلص هو الرجوع إلى الله بترك المعاصى وأداء الواجبات سياسة حكيمة من نبينا تنير لنا السبيل وتهدينا إلى الصواب .

obeikandl.com

فطاعة الله ترضى الله فيعطف علينا قلوب الحاكمين وعصيانه يقضى بأن يقسى علينا قلوبهم مصداق — ذلك قول النبي :

كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّ عَلَيْكُمْ

فها هنا الدواء الناجع . فالحاكم مسخر من قبل الله ومكلف برعاية الدين وأهله ينظم شئونهم على ماتقتضيه تعاليم ذلك الدين فاذا ساروا عليه انتظم أمر الحاكم والمحكوم . فحاكم بلا دين أعمى ودين بلا حاكم يتهدم فهو الحارس له .

لهذا يقول عليه الصلاة والسلام :

الْإِسْلَامُ وَالسُّلْطَانُ أَخَوَانِ لَا يَصْلُحُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلَّا بِصَاحِبِهِ فَالْإِسْلَامُ أُسٌّ وَالسُّلْطَانُ حَارِسٌ وَمَا لَا أُسَّ لَهُ يُهْدَمُ وَمَا لَا حَارِسَ لَهُ ضَائِعٌ

أنظر مايقوله سيدنا صلى الله عليه وسلم فى شأن إهمال كل

من الحاكم والمحكوم أمر الدين وما يؤول اليه حالها :

.....

والذي نفسي بيده سيأتي على الناس زمان يكون السلطان فيه كسبع ومن دونه كذئب ومن دونه كثعلب ويكون المسلم فيه كشاة فيالَيْتَ شِعْرِي متى تسلم الشاة من السبع والذئب والثعلب قولوا في هذا الزمان يا سلام سلم يا سلام سلم

أفلا ترى أن المسلم صار كشاة فاذا نجا من ثعلب لا ينجو من ذئب وإذا نجا من ذئب لا ينجو من أسد فسلطان الجميع منصب عليه فساء حاله وعمه الظلم والارهاق وكأنه من جنس غير جنسهم —

وقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله — قال قلت الله ورسوله أعلم

قال حقُّ اللهِ على العبادِ أنْ يعبدُوهُ ولا يُشركُوا به شيئًا وحقُّ العبادِ على اللهِ أنْ لا يعذِّبَ منْ لا يُشركُ بهِ شيئًا قلتُ يارسولَ اللهِ أفلا أُبشِّرُ الناسَ قال لا تُبشِّرْهُمْ فيتَّكِلُوا

الشرك أكبر وأصغر. فالأكبر هو اتخاذ شريك لله وهذا والحمد لله نحن بريئون منه. والأصغر هو ملاحظة الخلق حال عبادة الخالق وهو المسمى أيضا بالشرك الخفي فالحذر منه فيه تحبط الأعمال وترد العبادة وهو سريع الوصول الى النفس لخفائه والغفلة عنه متوافرة — لهذا يقول نبينا :

الشِّركُ أخفَى مِنْ دَبِيبِ النَّملِ على الصَّفَا

الصفا هو الحجر الأملس وحركة النمل عليه خفية فوصول الشرك إلى النفس أخفى من حركته .

فمثلا قد يصلي الشخص منفرداً فتستغرق صلاته ثلاث

أو أربع دقائق فاذا رآه الناس زاد فيها دقيقة أو اثنتين فهما للمخلوق بالاشتراك مع الخالق وكن يعلن عن طاعة أو بر صنعه .

معلوم أنه لاحق للعباد على الله سبحانه . وكيف يكون للمخلوق المرزوق حق على الخالق الرازق غير أنه جل شأنه قد التزم فضلا منه أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا وهو وعد منه ووعده سبحانه لا يتخلف فصار كأنه حق . ومن هنا كان الذكر بلا آله إلا الله من أجل الأذكار فهي كلمة التوحيد .

يقول صلى الله عليه وسلم :

عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما فإن إبليس قال أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون

قد أوقع الشيطان الكثير من الناس في الكفر والمعاصي

إلا أنه سبحانه لرحمته بخلقه أعد لهم ما يمحو به ذلك الكفر وتلك المعاصي فبكلمة التوحيد يمحو الله بها الكفر وبالاستغفار يمحو الذنوب فأتى بها الموفقون فقووا على إبليس ما أراده لهم من الهلاك فعمد إلى أمر خفي لا يتنبه له الإنسان وهو هوى النفس وميولها وإجابتها إلى ما تشتهيه إشباعا لشهواتها وهي لا تشتهي إلا ما فيه هلاك صاحبها بمعاونة الشيطان .

يقول الله تعالى :

إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ

فحمل الشخص على مجارات هوى النفس فاتبعه وغفل عن متابعة نبيه ودينه فصم وعمى .

يقول نبينا صلى الله عليه وسلم :

حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ

فسلبت العقول وهلك الناس إلا من رحم الله . حتى صار القبيح فى نظرهم حسنا والحسن قبيحا . يقول أحد الفضلاء :

يَرِي الْقَبِيحَ مَلِيحاً عَبْدُ شَهْوَتِهِ
حَتَّى يَرِي حَسَناً مَا لَيْسَ يَا حَسَن

وورد أن كلمة لا إله إلا الله إذا قالها قائلها فأخذها الملك ليكتبها فى صحيفته فجاورت سيئات أحرقتها حتى تستقر إلى جوار حسنة . وبالطبع إذا كان ذلك باخلاص وتقدير المذكور سبحانه . ومن هنا تفاوت الناس فى أجورهم ومنازلهم عند الله فكلما عظمت منزلة الرب فى نفس العبد فأخلص له وعمل حسابه فيما يفعل وفيما يترك كلما علت منزلته عند ربه .

ويستطيع العبد إذاً أن يتعرف تلك المنزلة عالية أو نازلة لهذا يقول صلى الله عليه وسلم .

.....

مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللهِ فَلْيَنْظُرْ

كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللهِ مِنْ قَلْبِهِ فَإِنَّ اللهَ يُنْزِلُ الْعَبْدَ حَيْثُ أَنْزَلَهُ الْعَبْدُ مِنْ قَلْبِهِ

فعلى الشخص أن يضع نصب عينيه أن الله يراه فى طاعته ومعصيته .

قال تعالى : وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ

ليستحي منه إذا ما سولت له نفسه أمراً يغضبه وإلا كان ضعيف الإيمان أو خالياً منه .

يقول الله جل شأنه فى الحديث القدسى :

يا عبادى إنْ كُنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنِّي لَا أَرَاكُمْ فَأَخْلَلُ فِي أَيْمَانِكُمْ وإنْ كُنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنِّى أَرَاكُمْ فَلِمَ جَعَلْتُمُونِى أَهْوَنَ النَّاظِرِينَ إِلَيْكُمْ

أى إن كنتم تؤمنون وتجزمون أنى لا أراكم فالخلل فى إيمانكم أى فلستم بمؤمنين لأن المؤمن يعلم أن الله يراه حيث يكون على طاعة أو معصية .

وإن كنتم تؤمنون وتجزمون أنى أراكم فكيف تضعونى فى موضع لا تضعون فيه أقل الناظرين اليكم فأنتم تستحيون أن يراكم أقل الناس أو أصغرهم على معصية ولا تستحيون منى مع أنكم تستطيعون الاستخفاء من المخلوق ولا سبيل إلى أن تستخفوا منى . فأنا أعلم السر والنجوى .

فالايمان الصحيح هو ما اتفق فيه القلب مع مايبدو على الجوارح لا بالتمنى والطمع بغير عمل .

لهذا يقول سيدنا صلى الله عليه وسلم .

لَيْسَ الإِيمانُ بِالتَّمَنِّي وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ

وإن لم يكن كذلك كان مجرداً من الحياء منطمس البصيرة

جاهلاً أو متجاهلاً وكل هذا يضره ولا ينفعه. فعليه أن يساير عقله لا نفسه وأن يستعيد إنسانيته حتى يكون في زمرة المرحومين الذين تشملهم رعاية الله تعالى وشفاعة رسوله.

لهذا يقول صلى الله عليه وسلم:

.....

إستحيوا من الله حق الحياء قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال من حفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وذكر الموت والبلا وترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى فقد استحيا من الله حق الحياء

الرأس يشتمل على العقل والسمع والبصر والشم والفم واللسان. والبطن يشتمل على الأمعاء التي هي خزانة الطعام والشراب كما يشتمل على الفرج. فمن استعمل هذه الأشياء فيما يحل وفيما خلقت من أجله وتباعد بها عن ما حرم الله عد

مستحياً من الله حق الحياء . كما يعد شاكراً على تلك النعم .

وعلى العبد أن يستعين على ذلك بتذكر الموت وما يعقبه من ضيق القبر وظلمته والوحشة فيه وضمته . وحشر ونشر وعرض وحساب وميزان وصراط وجنة ونار . حتى تنهضم نفسه وتنكسر شهوته . فيترك زينة تلك الحياة الفانيه ليغنم الحياة الباقية مقدما أمر الدنيا على أمر الآخرة . فالآخرة خير وأبقى . فمصالح الدنيا فى المرتبة الثانية .

أنظر إلى قول الله سبحانه :

.....

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ

.....

حيث أخر الابتغاء من فضله على قضاء الصلاة حتى لا تفوت دنياه عليه آخرته . وعند ذلك يكون قد أحب الله ورسوله فيحبه الله ورسوله . فتغفر ذنوبه ويستجاب دعاؤه ويسارع ربه فى هواه

ورد أنه مكتوب على ساق العرش :

.....

أَنَا مُطِيعٌ مَنْ أَطَاعَنِي وَمُحِبٌّ مَنْ أَحَبَّنِي
وَمُجِيبٌ دُعَاءَ مَنْ دَعَانِي وَغَافِرٌ لِمَنْ اسْتَغْفَرَنِي

.....

فهذه مناط كرامة الأولياء أطاعوا الله فأطاعهم وأحبوه فأحبهم ودعوه فأجابهم واستغفروه فغفر لهم وهل الكرامة غير هذا . إن المحب لمن يحب مطيع .

ورد في الحديث القدسي :

عَبْدِي أَطِعْنِي أَجْعَلْكَ عَبْدًا رَبَّانِيًّا تَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ

وهل إطاعة الله لعبده غير هذا .

كما يقول نبيه صلى الله عليه وسلم :

رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ

الطمران خرقتان يستر بهما الفقير جسمه إحداهما فى النصف الأعلى والأخرى فى الأسفل . يعنى أنه لكرامته على ربه لو أقسم عليه أن يقضى كذا لما رده فى طلبه . ومن عجيب أهل زماننا ، مرة يقولون هذا حديث ضعيف ومرة يقولون هذا موضوع ومادروا أنه إذا وردت أحاديث ولو ضعيفة فى موضوع واحد فان بعضها يقوى بعضا فتعطى حكم الصحيح كما قرر ذلك علماء الحديث . وكما قرروا أن الأحاديث الضعيفة يعمل بها فى فضائل الأعمال ، وهل هناك عداوة منهم للدين أو للأولياء .

هذا مروق وجهل ومخالفة للسلف الصالح وقلة حياء فقد اجترءوا على السادة وجبنوا فى جانب من يتبول قائما فسبهم الله.

يقول عليه الصلاة والسلام :

مَنْ لَاحَيَاءَ فِيهِ لَاخَيْرَ فِيهِ كما قال . إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ

ويقول القائل :

إذا رزق الفتى صبرا ثخينا

تصرف فى الرذالة كيف شاء

وسيأتى باب الأولياء . تأمل الحديث الآتى لتعلم كرامة الله لعبيده فى الدنيا قبل الآخرة فقد جعل لهم كل ما فى البر والبحر ليقوموا بطاعته شكرآ له على نعمه .

يقول الله تعالى فى الحديث القدسى .

يا ابن آدم خَلَقْتُ الأشياءَ مِنْ أجْلِكَ وخَلَقْتُكَ مِنْ أجْلِي فَلا تَشْتَغِلْ بِما هُوَ لَكَ عَمَّنْ هُوَ لَكَ

فالسماء وما اشتملت ، والأرض وما حملت من ماش وطائر ومركوب وحامل وحارث ودارس ومأكول ومشروب ونبات ، الكل فى خدمة الإنسان . ومع هذا فقد بخل بطاعة ربه التى من أجلها خلق حتى يسعده فى الآخرة كما أنعم عليه فى الدنيا . جحود أيها الانسان . لهذا يقول الله تعالى :

قُتِلَ الإنسانُ ما أكْفَرَهُ

أى ينعم ربه وهل هذا إلا معنى قوله تعالى أيضا :

وَسَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ

مع استغنائه سبحانه عن عبادة العابدين كما لا يصيبه من عصيان العاصين . فهو غنى عن كل ماسواه . ومفتقر اليه كل من عداه . فرجع كل ذلك الى العبد إن أطاع اكرم وإن عصى عذب . وقد قال الله تعالى :

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

ففى الآيتين تفسير للحديث فوضح أن الأشياء خلقت كلها من أجلنا . وإنا خلقنا من أجل طاعة ربنا . فقصر المجهود فى المضمون وهو الرزق . والتقصير فى المطلوب وهو طاعة الله . جهاد فى غير عدو واغضاب لله سبحانه . وقال صلى الله عليه وسلم :

الْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

وهذا لأنهم مجبولون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة وفى

البهائم شهوة بلا عقل . وفى الآدمى كلاهما فمن غلب عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم ولأنه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه . وسيأتى تفصيل هذا التفضيل . قرأ رسول الله قوله تعالى :

أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ .

فقيل له ما علامة انشراح الصدر للإسلام ؟ فقال :

الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ . وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ . وَالتَّأَهُّبُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ الْمَوْتِ

دار الغرور هى الدنيا . فكل مافيها زخارف تغر الإنسان فيتلهى بها عن الآخرة فينبغى التجافى عنها إلا بالقدر اللازم للعيش والتفرغ لدار الخلود مع التأهب والاستعداد للموت المحقق الوقوع والمجهول الوقت حتى إذا مافاجأه الموت وجده على طهارة قلب وقالب وهو معنى التأهب له . وأن يلازم تذكره ففيه كل الخير . إسمع قول الرسول الكريم :

أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ فَإِنَّكُمْ إِنْ ذَكَرْتُمُوهُ فِي ضِيقٍ وَسَّعَهُ عَلَيْكُمْ فَرَضِيتُمْ بِهِ فَأُجِرْتُمْ وَإِنْ ذَكَرْتُمُوهُ فِي غِنًى بَغَّضَهُ إِلَيْكُمْ فَجُدْتُمْ بِهِ فَأُثِبْتُمْ . إِنَّ ذِكْرَ الْمَوْتِ قَاطِعُ الْآمَالِ وَالْأَيَّامُ مُدْنِيَاتُ الْآجَالِ وَإِنَّ الْمَرْءَ بَيْنَ يَوْمَيْنِ يَوْمٌ قَدْ مَضَى أُحْصِيَ فِيهِ عَمَلُهُ فَخُتِمَ عَلَيْهِ وَيَوْمٌ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ وَإِنَّ الْعَبْدَ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ وَحُلُولِ رَمْسِهِ يَرَى جَزَاءَ مَا أَسْلَفَ وَقِلَّةَ غِنَى مَا خَلَّفَ وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلِ جَمْعِهِ وَمِنْ حَقِّ مَنْعِهِ

ففى تذكر الموت إقبال على الآخرة وزهادة فى الدنيا وصفاء للنفوس وجلاء للقلوب . لهذا يقول صلى الله عليه وسلم :

إِنَّ الْقُلُوبَ لَتَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ

فقيل يارسول الله :

وما جلاؤها قال : تلاوة القرآن وذكر الموت

فعليك بذكر الموت فنسيانه ضلال مبين . يعمى البصر والبصيرة ويقوى الرغبة فى الدنيا ويزهدها فى الآخرة . ثم لاتفهم من كل ماقيل فى أمر الزهادة فى الدنيا أن يتركها الانسان فلا يعمل فيها . بل المراد أن تكون الاخرة أعظم اهتماما من الدنيا فى نفسه وأن يكون قلبه معلقاً بها ويترك بدنه للعمل فى الدنيا بعد أداء مايطلبه الدين . حتى لايكون حالة [illegible] يقول صلى الله عليه وسلم .

اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَداً . وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَداً

فان من فرض أنه يعيش أبدا يتمهل فى شئون الحياة لطولها ومن فرض أنه يموت غداً بادر بشئون الآخرة . حتى إذا جاء الموت وجده مؤديا لكل ماطلب منه . فيموت قرير العين مطمئن البال . وفوات شىء من شئون الدنيا عليه لايضيره

بل كان موجباً لرفعته فكما له رزق فأولاده مرزقون أيضا .

ورازق الكل هو الله تعالى . ولذلك أقسم لنا أن رزقنا عليه لاشك فيه كما لانشك فى أنا ننطق ونتكلم . فقال تعالى :

وفى السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّماءِ والأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ

تطمينا لنا وتثبيتا لقلوبنا . فليحذر كل منا التسويلات النفسانية فنفسنا عدوتنا . يقول نبينا :

أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ

فعدونا فينا ولا نشعر . يقول البوصيرى :

وخالف النفس والشيطان واعصهما

وإن هما محضاك النصح فاتهم

وقال صلى الله عليه وسلم :

الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ والْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِى

الكيس العاقل. ودان نفسه أى حملها على ماتكره من طاعة الله لأنها تشتهى مايشق وتكره مافيه سعادة صاحبها . تحب الشر والشرور والتظاهر والظهور فيها يرائى ويخادع وينافق وينازع . كان ابن عباس يعظ الناس فى المسجد . فصعق رجل من جانب المسجد فقال : — من هذا الملبس علينا ديننا . إن كان صادقا . وإن كان كاذبا محقه الله . ينبهنا بهذا على أن الدين برىء من مثل هذه الفعال . وإنما هى تسويلات شيطانية فى غالبها وتخيلات نفسانية . فصاحبها ملوم على كلا الحالين حالة الصدق وحالة الرياء . ففى حالة الصدق قد خلط الدين بما منه برىء فلم يسمع هذا عن الصحابة ولا عن التابعين مع كونهم أكثر منا عبادة . وفى حالة الرياء قد عرض نفسه للهلاك الأخروى فقد حدد لنا الشارع كيفية مسايرته فيما طلب وفيما نهى فالاخلاص الاخلاص . فقد عز متبعوه وكثر مجتنبوه .

قال الله تعالى فى الحديث القدسى :

الإِخْلاَصُ سِرٌّ مِنْ أَسْرارِى أُودِعُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُ مِنْ عِبادِى لاَ يَطَّلِعُ مَلَكٌ فَيَكْتُبَهُ

وَلا شَيْطَانٌ فَيُفْسِدَهُ

لذا يقول عليه الصلاة والسلام

تَجِدُونَ النَّاسَ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لا تَجِدُونَ فِيهَا رَاحِلَةً

يعنى أن الرجل المرتضى فى الناس فى عزة وجوده كالنجيب من الأبل لا يوجد فى كثير منها . فالراحلة هى الناقة التى يغلب على طبعها الهدوء فتحمل الأحمال وهى ساكنة ثابتة قليلة فى الأبل . فكذلك الرجل الرزين المعقول الثابت على المكارم قليل . وقال صلى الله عليه وسلم :

يَا أَبَا ذَرٍّ أَخْلِصْ النِّيَّةَ فَإِنَّ الْمَوْلَى عَظِيمٌ وَبَادِرْهُ بِالْعَمَلِ فَإِنَّ الأَجَلَ قَرِيبٌ وَجَوِّدْهُ بِالتَّحْقِيقِ فَإِنَّ النَّاقِدَ بَصِيرٌ وَأَكْثِرْ الزَّادَ فَإِنَّ الطَّرِيقَ سَحِيقٌ وَأَوْثِقْ السَّفِينَةَ فَإِنَّ الْبَحْرَ عَمِيقٌ

الناظر لهذا الحديث قد يجد مايعينه على فهم التأهب

للموت المفهوم من الحديث السابق فانه يتطلب إخلاص النية لمولاه العظيم. فلا تخفى عليه خافية. والذى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان أساسه الإخـــلاص بحيث لا يراعى الا جانبه. فمراعات المخلوق فى عبادة الخالق محبطة للثواب موجبة للعقاب.

كما يبادر بالعمل خشية الفوات بموت عاجل أو عجز شامل أو شغل شاغل فالوقت كالسيف إن لم يقطعه الانسان بصالح الأعمال قطعه بفوات الآمال. كما يجرد العمل أى يتقنه بحيث يشتمل على ماهو شرط له أو ركن فيه. فالناقد وهو الله سبحانه بصير بعباده فيحفظ للمتقن أجراً عظيما. وللمرائى عذاباً أليما. وليكثر من الطاعة فانها الزاد الى الجنة. فقلتها قد تؤدى الى الهلاك. فالسفر طويل سحيق يستحق قليل الزاد كمن يكون فى سفينة فى بحر عميق فعليه أن يحكم ربطها حتى لا تغرق فتغرقه. فالجنة عظيمة القيمة. زهيدة الثمن. أفلا نقوم به. فطلبها بدونه قلة أدب وجرأة فى غير محلها. يقول الله تعالى فى الحديث القدسى:

مَا أَقَلَّ حَيَاءَ مَنْ طَمِعَ فِي جَنَّتِي بِغَيْرِ عَمَلٍ

كَيْفَ أَجُودُ بِرَحْمَتِي عَلَى مَنْ بَخِلَ بِطَاعَتِي

كما قال نبيه .

الْعَالِمُونَ هَلْكَى إِلاَّ الْعَامِلُونَ . وَالْعَامِلُونَ هَلْكَى إِلاَّ الْعَامِلُونَ وَالْعَامِلُونَ هَلْكَى إِلاَّ الْمُخْلِصُونَ وَالْمُخْلِصُونَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ

فأقل هفوة من المخلصين مضيعة لهم لعلو مقامهم ومعرفتهم بربهم . نظر أحدهم إلى امرأة بغير قصد فمقأ الله عينه فقال . يارب هذا بغير قصد . فنودى أن لو كان ذلك بقصد لمحى إسمك من ديوان الاولياء . وكما وقع لذلك النبى الكريم حينما نشر بالمنشار فوصل المنشار الى رأسه فقال آه . فنودى من قبل الله أن لو قلتها مرة ثانية لمحى إسمك من ديوان الأنبياء . وهذا مثل من أمثلة عصيان الأنبياء . فسيئات المقربين حسنات الابرار . وإياك أن تتصور فيهم عصيانا كعصياننا . فهل سمعت أن نبياً قد زنى أو شرب خمراً أو سرق مثلا . حاشاهم فهم المصطفون الأخيار . فلو وقع منهم شىء من ذلك للزم الكذب فى شهادة الله بأنهم مصطفون وأنهم أخيار كما يلزم

أنه سبحانه لم يحسن الاختيار وهل يصح هذا فى جانب الله وأنه اختار فأساء الاختيار . وهذا لا يقع إلا من جاهل بما تنطوى عليه نفوس الخلق . فالحذر من الوقوع فى تلك الغلطة الشنعاء فاختيار الله لأنبيائه صادف محله . فاحرص على هذا فانه ينفعك

فاذا تم للعبد إخلاصه وزالت غفلته كان أهلا للفيوضات الربانية والنفحات الآلهية . يقول حضرة نبينا صلى الله عليه وسلم

إِنَّ لَدَيْكُمْ فى أَيَّامِ دَهْرِكُمْ لَنَفَحَاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا

اى بتنقية القلوب من الأدناس فالأيام تنقضى ولا تعود . فالعاقل من شغلها بطاعة ربه حتى تشهد له يوم القيامة بما أوقعه فيها من الطاعات ، وحتى لا تشهد عليه بمعاص أوقعها فيها فالزمان شاهد كالمكان بكل مايقع فيه من خير ومن شر .

قال صلى الله عليه وسلم :

مَامِنْ يَوْمٍ يَنْشَقُّ فَجْرُهُ إِلَّا وَيُنَادِى . يَاابْنَ آدَمَ أَنَا خَلْقٌ جَدِيدٌ وَعَلَى عَمَلِكَ شَهِيدٌ فَاغْتَنِمْ مِنِّى فَإِنِّى

لَا أَعُودُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كما قال : أَلَا وَإِنَّ السَّعِيدَ مَنْ اخْتَارَ بَاقِيَةً يَدُومُ نَعِيمُهَا عَلَى فَانِيَةٍ لَا يَنْفَكُّ عَذَابُهَا وَقَدَّمَ لِمَا يُقْدِمُ عَلَيْهِ مِمَّا هُوَ الْآنَ فِي يَدِهِ قَبْلَ أَنْ يُخَلِّفَهُ لِمَنْ يَسْعَدُ بِإِنْفَاقِهِ وَيَشْقَى هُوَ بِجَمْعِهِ وَاحْتِكَارِهِ

كثير على عاقل أن يفرغ وسعه فيما يشقيه ويجلب عليه السخط من الله والعذاب فالمال فى يده الآن وهما قليل يتركه لوارثه فليعمل لاخرته فيه قبل أن ينتقل هو إلى آخرته . والمال إلى ورثته فيتنعم الوارث ويعذب المورث لأنه ربما كان قد جمعه من باطل فينفقه وارثه فى باطل وقد غفل عن أن الله سبحانه بالمرصاد وأنه لا يلحقه سهو ولا رقاد قال ﷺ :

إِنَّ اللَّهَ عز وجل لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النُّورُ

لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَاانْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ

القسط هو الميزان حجابه النور الذى حجبه عن الخلق والا لا احرق العالم إذا لم يكن حجاب . النوم مستحيل على الله اذ لو نام سبحانه لا اختل نظام الكون لأنه قيوم السموات والأرض يحفظهما من اطرابها وانقلابها على من فيها . سئل سيدنا موسى عليه السلام هل ينام ربنا فأوحى الله إليه أن يمسك بزجاجتين مملوءتين ولا ينام ففعل ، وغالب النوم ثلاثة أيام ثم غلبه النوم فسقطت احداهما على الاخرى فتكسرتا . فأوحى الله إليه لو نام ربك لسقطت السماء على الارض فلا خلاص للعبد من الرب إلا بأداء ما أمره به وترك مانهاه عنه . قال تعالى:

لَا يَنْجُو مِنِّى عَبْدِي إِلَّا بِأَدَاءِ مَاافْتَرَضْتُهُ

فقيام العبد بالتزاماته لربه يجعله يوم القيامة فى أمن ونجاة فلا يفزع مع الفزعين ولا يبكى مع الباكين ويندمج فى مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم :

كُلُّ عينٍ بَاكِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ عَيْنًا غُضَّتْ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ وَعَيْنًا سَهِرَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَعَيْنًا يَخْرُجُ مِنْهَا مِثْلُ رَأْسِ الذُّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ

فاراحة النفس عن الكد فى طاعة هو عين شقائها . وإن ظنّ العبد أنه بذلك يكرمها كما أن اجهادها فى مايرضى الله هو عين سعادتها — يقول صلى الله عليه وسلم :

أَلاَ يَارُبَّ مُكْرِمٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُهِينٌ أَلاَ يَارُبَّ مُهِينٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُكْرِمٌ أَلاَ وَإِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ أَلاَ يَارُبَّ شَهْوَةِ سَاعَةٍ أَوْرَثَتْ حُزْنًا طَوِيلاً

ضرب حول الجنة سور الطاعات التى تنفر منها النفس كما أحيطت النار بسور الشهوات التى تحبها النفس . فطالب الجنة لايصل اليها إلا بارغام النفس على الطاعات ليخترقها اليها كما أن المعرض عن الجنة يساير نفسه فى ماتحب من

الشهوات فينفذ منها إلى النار فنحن فيما هو كالتجربة . فاما أن نرغمها فنصل إلى دار السعادة . وإما أن نطاوعها فنصل إلى دار الشقاوة . نتمتع بالشهوات ساعة ولا ندرى ماوراء ذلك فقد تستوجب تلك الساعة سنين فى عذاب النار . ومن هنا يقول صلى الله عليه وسلم .

فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَمِنَ الشَّبِيبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ وَمِنَ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَوْتِ فَوَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ بِمُسْتَعْتَبٍ وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ إِلَّا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ

كما يقول : اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ وكما يقول : تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِى الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِى الشِّدَّةِ

يشير بكل ذلك صلى الله عليه وسلم إلى أنها فرص فيها كل الغنم وفى إهمالها كل الغرم فقد يحل بالإنسان موت بدل الحياة وسقم مكان الصحة وانشغال محل الفراغ فيفوت عليه ما كان يرجوه فيندم حيث لا ينفع الندم. كأنه لم يكن هناك عتاب ولا حساب . نفير لمن رغب فى اسعاد نفسه أن يحرص على هذه الفرص . وأن يقمع نفسه وهواها وإلا دل ذلك على ضعف إيمانه . قال صلى الله عليه وسلم :

لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ

فاذا ما حافظ على متابعته لما جاء به نبيه أصبح من الأخيار ومن الذين يقتدى بهم وينتفع بالقرب منهم فى القول وفى العمل . قال نبينا :

خِيَارُكُمْ مَنْ ذَكَّرَكُمْ بِاللهِ رُؤْيَتُهُ وَزَادَكُمْ فِي الْعِلْمِ مَنْطِقُهُ وَرَغَّبَكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ

هكذا دأب المؤمنين المتقين ، سمعت من أستاذنا السيد

محمد بن عبد الرحيم يقول : كنت إذا نظرت إلى الشيخ عليش زهدت في الدنيا مدة فلا أجيب لنفسي طلبا لما كان عليه من سيمة التقوى ووقار العلم ودلائل الآخرة فمن لم يدرب نفسه على تلك الشيم وهذه الخلال كان شرا على نفسه وعلى غيره فيتوارى منه عند رؤيته إتقاء شره . يقول عليه الصلاة والسلام :

سَتَظْهَرُ شِرَارُ أُمَّتِي عَلَى خِيَارِهَا فَيَسْتَخْفِي فِيهِمُ الْمُؤْمِنُ كَمَا يَسْتَخْفِي الْمُنَافِقُ فِينَا الآنَ

أما ترى المؤمن اذا مر على من لا خلاق لهم تناولوهم بألسنتهم تشهيرا . وبأعينهم تصغيرا . وبقلوبهم تحقيرا .

وفاتهم أنه ينبغي لهم أن يكونوا في جانبه كما يحبون أن يكون هو في جانبهم عدلا منهم ومنه . يقول عليه الصلاة والسلام :

مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى

ضابط عظيم وقاعدة عادلة فما يحبه الشخص من الناس ينبغي له أن يفعله معهم وما يكره أن يفعلوه معه كره أن يفعله معهم واحدة بواحدة وإلا فقد العدالة والنصفة فحسبه أنه لا يبالغ في المجاملة حتى يصل به الحال إلى أن يرضي الخلق ويغضب الخالق قال صلى الله عليه وسلم :

مَنْ أَسْخَطَ اللهَ فِي رِضَى النَّاسِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ مَنْ أَرْضَاهُ فِي سَخَطِهِ وَمَنْ أَرْضَى اللهَ فِي سَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ مَنْ أَسْخَطَهُ فِي رِضَاهُ حَتَّى يُزَيِّنَهُ وَيُزَيِّنَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ فِي عَيْنِهِ كما قال : مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يُحِبُّونَ وَبَارَزَ اللهَ تعالى لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ وكما قال : لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ

الناظر في هذه الأحاديث يدرك أن كثيراً من الناس

مشمولون بهذا الوعيد المكرر فمن شهد زوراً فقد أرضى المخلوق وأغضب الخالق وكذلك من قضى بحق أحد لآخر ومن عاون ظالما على مظلوم وقويا على ضعيف أو أضحك الناس على مسلم فصفر وجهه وأخجل كرامته فقد أرضى المخلوق وأغضب الخالق . جاء عظماء قريش الى رسول الله وعرضوا عليه المال والسيادة والملك ليترك مايدعوهم اليه من توحيد الله وترك عبادة الأوثان فأبى فقالوا له . أعبد آلهتنا يوما معنا نعبد آلهك معك شهراً . واعبد معنا آلهتنا شهراً نعبد معك إلهك سنة . فنزل قوله تعالى : قل يا أيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون . أى يوما . ولا أنتم عابدون ما أعبد . أى شهرا . ولا أنا عابد ما عبدتم . أى شهرا . ولا أنتم عابدون ما أعبد . أى سنة . فلم يرض الله لنبيه أن يرضيهم فيما يسخطه وإن كان صلى الله عليه وسلم معصوما من ذلك إلا أن الله سبحانه قد تولى الاجابة بانزال هذه السورة لما سبق فى علمه .

قال صلى الله عليه وسلم .

أَعْقَلُ النَّاسِ مُحْسِنٌ خَائِفٌ وَأَجْهَلُ النَّاسِ مُسِيءٌ آمِنٌ

المراد من المحسن من أحسن إلى نفسه بالعمل الصالح الذى منه الاحسان الى الغير فان فيه إحسانا الى نفسه أيضا فقد عرف ربه بالعزة والقهر فهو مع طاعته يخافه لأن كل من اشتد قربه من الله اشتد خوفه منه . لهذا يقول نبينا .

إنى لأخوفكم من الله

غير أنه يلاحظ أن خوف النبي خوف إجلال ومهابة لا خوف غضب وعذاب . والمراد من المسيء من أساء الى نفسه بالعمل السيء . فهو لجهله بربه لا يخافه لاغتراره بحلمه ولكونه مستدرجا فلم تقربه من ربه طاعة فنزع الله منه الخوف ليتمادى فى غيه بل وعده بنعمه فأمن مكره يقول الله سبحانه .

فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ

ويقول : وعزتى وجلالى لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين إن أمنى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة

فعلى العبد أن يخاف ربه وان كان طائعا لجواز أن يرد عليه طاعته لاعتياده عليها . وقال صلى الله عليه وسلم .

أَوْصَانِي رَبِّي بِتِسْعٍ أُوصِيكُمْ بِهَا ـ أَوْصَانِي بِالإِخْلاصِ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ وَالْعَدْلِ فِي الرِّضَى وَالْغَضَبِ وَالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ وَأَنْ أَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي وَأُعْطِيَ مَنْ حَرَمَنِي وَأَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي وَأَنْ يَكُونَ صَمْتِي فِكْرًا وَنُطْقِي ذِكْرًا وَنَظَرِي عِبْرًا

القصد هو التوسط فى الأمور كلها فخير الأمور الوسط وهو يتوسط دائما رذيلتين فالكرم وسط بين الشح والإسراف وهما رذيلتان والشجاعة وسط بين الجبن والتهور وهما رذيلتان وهكذا . فتلك الوصايا تحد الشخص وتحقق إنسانيته وتطرد عنه الوسارس فتحفظ صفاءه فتشع روحانيته . يقول ﷺ :

لَوْلاَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى الْمَلَكُوتِ

وسئل ﷺ : ما الإثم وما الإيمان فقال : الإثم ما حاك بنفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس والإيمان إذا ساءتك سيئتك وسرتك حسنتك فأنت مؤمن .

انظروا إلى الملكوت أى لكشف عنهم الحجاب فرأوا ما أخفى من الملك كرامة لهم . المؤمن غير معصوم إلا أنه ليس من شأنه الاصرار على المعصية فاذا ما انفلتت نفسه منه ووقع فى معصية ذكر غضب الله وعذابه فيندم ويحزن وتضيق عليه الارض بما رحبت وهذا عين الايمان وكأن صخرة انحطت عليه ولا قبل له بها . وأما ضعيف الايمان فانه علاوة على إصراره اذا وقع فى الذنب كأن ذبابا حط على وجهه فأبعده عنه بحركة من يده كما جاء فى الحديث . فالاول يفرح لحسنته ويحزن لسيئته على العكس من ضعيف الايمان . وكثيراً ماحذرنا الله ورسوله من الاصرار لأنه مصيبة المصائب ألا ترى أن العبد اذا أصر على زنى أو شرب خمر مثلا كل شهر

مرة فهو عاص طول الشهر من أجل ذلك الاصرار . فاذا لم يقلع فقد يتم اسوداد قلبه و ذهاب نوره .

فى قوله تعالى : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ

قال صلى الله عليه وسلم . كُلُّهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَابِقُنَا سَابِقٌ وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ

أَمَّا السَّابِقُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَأَمَّا الْمُقْتَصِدُ فَيُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَأَمَّا ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ فَيُحْبَسُ فِي الْمَقَامِ حَتَّى يَبْلُغَهُ الْهَمُّ ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ثم تلا قوله تعالى الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ

قال بن عباس : السابق المخلص والمقتصد المرائى والظالم

لنفسه الكافر نعمة الله غير الجاحد . وقيل السابق بالخيرات راجح الحسنات والمقتصد الذي تساوت حسناته مع سيئاته والظالم لنفسه راجح السيئات . وقيل السابق المعصوم والمقتصد صاحب الصغيرة والظالم صاحب الكبيرة فكل هذه المعاني مشمولة للآية وذلك لاختلاف درجات الخلق وأعمالهم. والمقام بين الجنة والنار وقال صلى الله عليه وسلم :

ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ وَثَلاثٌ مُنْجِيَاتٌ خَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ وَالْعَدْلُ فِي الرِّضَى وَالْغَضَبِ وقال ثَلاثٌ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ فِيهِنَّ سَوَاءٌ مَنْ وَاهَتْهُ فَوَفَّ بِعَهْدِهِ مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا فَإِنَّ الْعَهْدَ لِلهِ وَمَنْ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَحِمٌ فَصِلْهَا مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا وَمَنْ أَئْتَمَنَكَ عَلَى أَمَانَةٍ فَأَدِّهَا مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا

وقال عن الله جل شأنه . أحبُّ ثلاثاً وحُبِّي لثلاث أشدُّ أحبُّ التائبين وحُبِّي لشاب التائب أشدُّ وأحبُّ المتواضعين وحُبِّي للغني المتواضع أشدُّ وأحبُّ الكرماء وحُبِّي للفقير الكريم أشدُّ وأبغضُ ثلاثاً وبُغضي لثلاث أشدُّ . أبغضُ العاصين وبُغضي للشيخ العاصي أشدُّ — أي كبير السن — وأبغضُ المتكبرين وبُغضي للفقير المتكبر أشدُّ وأبغضُ البخلاء وبُغضي للغني البخيل أشدُّ

فما أقبح العصيان من كبير السن وما أقبح التكبر من الفقير والبخل من الغني —

ورد . لا يدخلُ الجنةَ ثلاثةٌ مستكبرٌ وقال ثلاثٌ من لم تكن فيه واحدةٌ منهن فلا تعتدوا بعمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم

يَكُفُّ بِهِ السَّفِيهَ وَخُلُقٌ يَعِيشُ بِهِ فِي النَّاسِ

وقال . أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا أَوْ كَانَتْ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعٍ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ

أي زاد عن حقه . الناظر في هذه الثلاثيات يرى فيها محاولة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في إسعاد أمته فلم يدع ناحية من النواحي إلا وبينها وحض امته على اتباع ماهو خير واجتناب ماهو شر فلو تمسكنا بتلك التعاليم لكان لنا من وراء ذلك عز الدنيا وسعادة الآخرة . فنتعاون ونتناصح ولكن مع الأسف أصبح التناصح للدين مردودا وللدنيا مقبولا ـ فاذا قيل لأحد اتق الله نفر واستكبر وفي سبيل الدنيا حمد وشكر . يقول الله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ

فصيلة جرجسنم .

فالنصح للدين واجب اسماعا واستماعا . فالمؤمن مرآة أخيه فما ورد . فلا يقبله إلا ذو دين ولا يرده إلا فاجر . قيل لسيدنا عمر إتق الله . فوضع خده على الأرض تواضعا لله وبالجملة فقد خولف ماتضمنته هذه الأحاديث فلا حول ولا قوة إلا بالله

وقد قام الرسول بأداء مهمته ولم يدخر وسعا فى هذا السبيل فجزاه الله عنا خير الجزاء . تقابل عيسى عليه السلام مع إبليس فوجد معه خمسة أحمال على خمسة أحمره فقال له ماهذا قال تجارة أطلب لها مشترين . أما الحمل الأول فالجور . قال ومن يشتريه . قال السلاطين . والثانى الحسد . قال ومن يشتريه قال العلماء . والثالث الكبر . قال ومن يشتريه . قال الدهاقون والرابع الخيانة . قال ومن يشتريها . قال التجار . والخامس المكر . قال ومن يشتريه . قال النساء . إن حسد العلماء إنما هو لبعضهم تنافسا فى العلم . الدهاقون هم رؤساء الأقاليم

يقول سبحانه فى بعض الكتب المنزلة .

إذا أنا أطعتُ رضيتُ وإذا رضيتُ باركتُ
وليس لبركتي نهاية وإذا أنا عُصيتُ غضبتُ
وإذا غضبتُ لعنتُ ولعنتي تبلغُ السابعَ من الولد

فشؤم المعاصي يجلب على صاحبه البلاء حتى السابع من أولاده إلى سابع جيل . فمصائب الأولاد نتيجة عصيان الآباء وليس ذلك على الكل بل على البعض منها ولو آخذنا على الكل لأهلك كل من على وجه الأرض —

ولو يؤاخذُ اللهُ الناسَ بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ويقول . وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير

وقال صلى الله عليه وسلم . البرُّ لا يبلى والذنب لا ينسى والديّانُ لا يموتُ فكنْ كما شئتَ فكما تدين تدان .

أى فكما تفعل تجازى إن خيراً فخير وإن شراً فشر . فلا يغتر من ينصره الله بنصره وحو ذائب على معاصيه يظن جهلاً منه أن ذلك لكرامته على ربه . بل هو استدراج من حيث لا يعلم

يقول صلى الله عليه وسلم . إذا رأيت الله يعطى العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فإنما ذلك استدراج ثم تلا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون

وقال . من تزين بعمل أهل الآخرة وهو لا يريدها ولا يطلبها لعن في السموات والأرض

وقال : إذا أخطأ العبد خطيئة نكت في قلبه نكتة فإذا هو نزع واستغفر صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه . وهو الران الذي

قال فيه . بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ . كما قال . مَن أَذْنَبَ وهُوَ يَضْحَكُ دَخَلَ الجَنَّةَ وهُوَ يَبْكِي .

فانه عند دخوله الجنة بسبب توبة أو بعفو من الله يذكر عصيانه لربه وأنه لولا رحمته إياه لتبدلت الحال غير الحال فيبكي ندما على مافرط منه عصيانا لربه . وقال سيدنا على من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً من عرف الله فأطاعه ـ وعرف الشيطان فعصاه ـ وعرف الحق فاتبعه ـ وعرف الباطل فاجتنبه ـ وعرف الدنيا فاعرض عنها ـ وعرف الجنة فطلبها . وقال عليه الصلاة والسلام .

إِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيَّاتِ وإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ مانَوَى فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ ومَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى دُنْيا يُصِيبُها أو امْرأَةٍ يَنْكِحُها فَهِجْرَتُهُ إِلى ماهاجَرَ إِلَيْهِ

يعني من كان عمله لله ورسوله قبله الله منه وجازاه عليه

ومن كان عمله وسعيه إلى دنيا أو إلى زوجة يتزوجها فقد نال حظه من ذلك وليس له عند الله شيء.

وقال: أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة من يُرى الناس أن فيه خيراً ولا خير فيه وأبغض العباد إلى الله من كان ثوبه خيراً من عمله ثيابه ثياب الأنبياء وعمله عمل الجبارين —

وقال. شرُّ الناس منزلة يوم القيامة. من يخاف الناس من شرِّه. أتى قوم على رجل ميت فقالوا رسول الله فقال كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال. إن الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر وإنما يرفع العباد غداً في الدرجات من ربهم على قدر عقولهم —

كما قال : الدِّينُ الْعَقْلُ ولا دِينَ لِمَنْ لاعَقْلَ لَهُ

وكما قال : لايُعْجِبُكُمْ إسْلامُ الرَّجُلِ حَتَّى تَنْظُرُوا ماذَا عَقَدَ عَقْلُهُ .

أى فان كانت نواياه وعزيمته على الخير كان عاقلا وذا دين وإلا فلا عقل كامل ولا دين . وقال صلى الله عليه وسلم :

ذُو الْوَجْهَيْنِ فِى الدُّنْيا يأْتِى يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلَهُ وَجْهانِ مِنْ نارٍ وفى رواية ولِسانانِ مِنْ نارٍ

هو الذى يكون مع هذا بكلام ومع هذا بكلام آخر فلا تعرف له صداقة ولا عداوة . ساقط هذا عن درجة الإعتبار مجرد من مزايا الرجولة ضائع عند الله وعند الناس فلا يؤبه له ولا يعتد به فلم يرحم نفسه ولا الناس فهو ضال مضل . فهو مبغوض فى الدنيا معذب فى الآخرة .

وقال عليه الصلاة والسلام :

إرْحَمُوا تُرْحَمُوا واغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ وَيْلٌ

لإقناع القول ، وويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون .

القمع هو الإناء الذى يملأ بالمائعات شبه الذين يستمعون القول ولا يعرفونه ويحفظونه ولا يعملون به بالقمع أى الوعاء الذى لا يعى شيئا مما يفرغ فيه. يمرون على القول كما يمر الماء فى الوعاء . ولا يقع ذلك إلا من المستهترين بدينهم لا يهتمون بما يسمعون عنه ولكنهم يستمعون لما يجىء عن الغرب والغربيين من حضارة كاذبة وزخارف باطلة ويا ليتنا قلدناهم فيما ينفع كما قلدناهم فيما يضر فخرجنا عن الجادة فتقدموا فى الدنيا وتأخرنا فيها . وفى جانب ديننا ويخشى علينا أن نخسرهما معا .

أنظر قول الرسول :

لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه . قيل يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن يعنى فمن غيرهما . كناية عن شدة متابعتها وموافقتهما

فى المخالفات لافى الكفر. فقد تهاونا فى ديننا كما تهاونوا وشربنا الخمور ووقعنا فى الفجور كما فعلوا وتعاطينا الربى كما تعاطوا وتبرجت ونهتكت نساءنا أسوة بنسائهم وصرفنا عن الدين إلى الدنيا وياليتنا كسبناها وأنت تعلم الباقى .

يقول عليه الصلاة والسلام :

قَرُبَتِ السَّاعَةُ ولا يَزْدَادُ النَّاسُ فى الدُّنْيا إلاَّ حِرْصاً ولا تَزْدادُ مِنْهُمْ إلاَّ بُعْداً . وقال : مَنْ كانَتْ هَمُّهُ الآخِرَةَ جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ وجَعَلَ غِناهُ فى قَلْبِهِ وأَتَتْهُ الدُّنيا وهِىَ رَاغِمَةٌ ومَنْ كانَ هَمُّهُ الدُّنيا فَرَّقَ اللهُ أَمْرَهُ وجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ولَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنيا إلاَّ ماكُتِبَ لَهُ . فالرزق مقسوم . وقال: ماذِئْبانِ جائِعانِ أُرْسِلا فى غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَها مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلى الْمالِ والشَّرَفِ . وقال تعالى : أَيَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَبَنِينَ نُسارِعُ لَهُمْ

فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ

لذا ترانا نحزن إذا أصبنا فى مالنا ولا نحزن إذا قصرنا فى شئون ديننا . أنظر قول أحد الفضلاء :

فَيَظَلُّ يَكْمُلُ بَلِيَّةٍ فِي مَالِهِ

فَإِذَا أُصِيبَ بِدِينِهِ لَا يَشْعُرُ

وقال عليه الصلاة والسلام إِنَّمَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ .

الربيع المطر والحبط إنتفاخ البطن من كثرة الأكل فيموت صاحبه أو يقرب من الموت وهو مثل للمنهمك فى جمع المال النافع لصرفه فى وجوهه . وقال صلى الله عليه وسلم :

يَا رَاعِيَ السُّوءِ أَكَلْتَ اللَّحْمَ وَشَرِبْتَ اللَّبَنَ وَلَمْ تُؤْوِ الضَّالَّةَ وَلَمْ تَجْبُرِ الْكَسِيرَ الْيَوْمَ أُنْتَقِمُ مِنْكَ . وقال : خَابَ وَخَسِرَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ

الله في قلبه رحمة للبشر

أنظر رحمة ساداتنا الصحابة رضى الله عنهم قال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك أطلب بن عم لى بين الجرحى ومعى شيء من الماء وأنا أقول إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا أنا به . فقلت أسقيك . فأشار إلى أن نعم . فاذا رجل يقول (آه) فأشار بن عمى أن انطلق به اليه . قال فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك . فسمع به آخر . فقال (آه) فأشار هشام انطلق به اليه . فانطلقت فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات . فرجعت إلى بن عمى فاذا هو قد مات . إيثار ما أعظمه من إيثار حيث يؤثر كل منهم غيره على نفسه مع شدة الحاجة يقول الله تعالى :

وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ

ونحن لانقدم الميسور فضلا عن المعسور فقد انطمست البصائر وعميت الأبصار وانعكس الحال فضعفنا وكنا أقوياء وقوى عدونا وكان ضعيفا وعمد إلى ابتلائنا فحصل على غرضه فينا

تأمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

سَتَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا قَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ أَعْدَائِكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ قَالَ قَائِلٌ . وَمَا الْوَهْنُ يَارَسُولَ اللَّهِ . قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ .

الغثاء هو مايجمعه السيل وقت الفيضان من عفش وخرق وغيرهما مما تحتقره الانظار . تصوير للواقع فى زماننا . فأنت ترى أنه قد تملكنا الأعداء بعد أن بادى بعضهم بعضا لذلك فأرقعونا فى الرق فزالت حريتنا وذهبت ريحنا وتفرقت كلمتنا وحاربنا أنفسنا بدل أن نحارب عدونا لذلك بكى رسول الله على خيبتنا فقال له حزيفة . مايبكيك يارسول الله ؟ قال :

كَيْفَ لا أَبْكِي وَقَدْ يَأْتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ يُفْقَدُ فِيهِ الإِسْلامُ وَيَتْرُكُونَ الصَّلاةَ وَيَمْنَعُونَ الزَّكَاةَ وَيُطَفِّفُونَ الْمِكْيَالَ وَيَجُورُ السُّلْطَانُ وَيَحْلِفُونَ بِالْبَاطِلِ وَيَشْهَدُونَ الزُّورَ وَيَشْرَبُونَ الْخُمُورَ وَيَغْشَوْنَ اللَّوَاطَ وَالزِّنَى وَيَأْكُلُونَ الرِّبَى وَيُحِبُّونَ الْغِنَاءَ وَتَقِلُّ الأَمَانَاتُ وَتَكْثُرُ الْخِيَانَاتُ وَيَفْتَخِرُونَ بِنَسَبِ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ وَتَعْلُو الأَصْوَاتُ وَالْخُصُومَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ وَيَقِلُّ فِيهَا الرَّاكِعُ وَالسَّاجِدُ وَلا يُوَقِّرُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ وَلا يَرْحَمُ كَبِيرُهُمْ صَغِيرَهُمْ وَتَرَى الْكَذِبَ حَدِيثَهُمْ وَالْغِيبَةَ وَالنَّمِيمَةَ فَاشِيَتَهُمْ إِنْ رَأَوْا حَقًّا كَرِهُوهُ . وَإِنْ رَأَوْا بَاطِلاً تَبِعُوهُ

قارن بين مايقوله الرسول وبين مانحن فيه فلا تر مخالفة مع الجارى فسر هذا الحديث به .

يقول عليه الصلاة والسلام :

كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا طَغَى نِسَاؤُكُمْ وَفَسَقَ شُبَّانُكُمْ وَتَرَكْتُمْ جِهَادَكُمْ قالوا وإِنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ يارسول الله قال نَعَمْ والَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ وأَشَدُّ منه سيكون قالوا وما أَشَدُّ منه يارسول اللهِ . قال كيف أَنْتُمْ إِذا لم تَأْمُرُوا بِالمَعْرُوفِ ولم تَنْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ قالوا وكائنٌ ذلك يارسول الله . قال نعم والذى نفسى بيده وأشدُّ منه سيكون قالوا وما أشدُّ منه يارسول الله قال . كَيْفَ أَنْتُمْ إِذا رَأَيْتُمُ المَعْرُوفَ مُنْكَراً والمُنْكَرَ مَعْرُوفاً قالوا وكائنٌ ذلك يارسول الله . قال نعم والذى نفسى بيده وأشدُّ منه سيكون قالوا وما أشدُّ منه يارسول الله قال كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائنٌ ذلك يارسول

الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون

يقول الله تعالى : بي حلفت لآتينّ لهم

فتنة يصير الحليم فيها حيران

الحليم هو العاقل وقد صار حيران فأنه يرى أن الرجال كالنساء قد تنكبوا الطريق السوى وبدلوا الفضائل بالرذائل والحسن بالقبيح والطيب بالخبيث فركبوا عقولهم وكأنهم لم يرسل اليهم رسول . ولم ينزل عليهم كتاب فما يلبثون أن يصيبهم العذاب . لأنهم يدعو بعضهم بعضا إلى الشر . ولا يتعاونون على البر والتقوى . فاذا نظر العاقل عن يمينه أو يساره وجد الشر قد طغى على الخير فلم يدعه يتنفس ولا آمر ولا ناهى وإن وجد فلا يستمع له . فمنا في الدنيا البلاء فلو كنا كما طلب منا لزلزلنا أركان الدنيا فقد وصل عددنا قرابة خمسماية مليون ولكنا غثاء كغثاء السيل كما مرّ عليك .

قال موسى عليه السلام . ربّ أيّ العمل أحبّ إليك أن أعمله قال أذكرني يا موسى قال

رَبِّ أَيُّ عِبادِكَ أَتْقَى قال الذى يَذْكُرُنِي وَلا يَنْسانِي قال رَبِّ أَيُّ عِبادِكَ أَغْنَى قال الذى يَقْنَعُ بِما يُؤْتَى قال رَبِّ أَيُّ عِبادِكَ أَفْضَلُ قال الذى يَقْضِي بِالْحَقِّ ولا يَتَّبِعُ الْهَوى قال رَبِّ أَيُّ عِبادِكَ أَعْلَمُ قال الذى يَطْلُبُ عِلْمَ النّاسِ إلى عِلْمِهِ لَعَلَّهُ يَسْمَعُ كَلِمَةً تَدُلُّهُ عَلى هُدًى أَوْ تَرُدُّهُ عَنْ رَدًى قال رَبِّ أَيُّ عِبادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ عَمَلاً قال الذى لا يَكْذِبُ لِسانُهُ ولا يَزْنِي فَرْجُهُ ولا يَفْجُرُ قَلْبُهُ قال ثُمَّ أَيٌّ عَلى إِثْرِ هذا قال قَلْبٌ مُؤْمِنٌ فِي خُلُقٍ حَسَنٍ قال رَبِّ أَيُّ عِبادِكَ أَبْغَضُ إِلَيْكَ قال قَلْبٌ كافِرٌ فِي خُلُقٍ سَيِّئٍ قال رَبِّ ثُمَّ أَيٌّ عَلى إِثْرِ هذا قال جِيفَةٌ بِاللَّيْلِ بَطّالٌ بِالنَّهارِ

جيفة منتنة من آثار المعاصى بطال بالنهار لا يصدر عنه إلا

فساد وإفساد . قال صلى الله عليه وسلم :

سيأتي على الناس زمان يحبون خمسا وينسون خمسا يحبون الدنيا وينسون الآخرة ويحبون المال وينسون الحساب ويحبون الخلق وينسون الخالق ويحبون الذنوب وينسون التوبة ويحبون القصور وينسون المقبرة . وقال : كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى كل عمل ليس على سنتي فهو معصية

سئل صلى الله عليه وسلم عن أشراط الساعة فقال :

إذا رأيت الناس قد ضيعوا الحق وأماتوا الصلاة وأكثروا القذف واستحلوا الكذب وأخذوا الرشوة وشيدوا البنيان وعظموا أرباب الأموال

واستعملوا السفهاء واستحلوا الدماء فصار الجاهل عندهم ظريفا والعالم ضعيفا والظلم فخرا والمساجد طرقا وتكثر الشرط وحليت المصاحف وطولت المنارات وخربت القلوب من الدين وشربت الخمور وكثر الطلاق وموت الفجأة ونشا الفجور وقول البهتان وحلفوا بغير الله واتمن الخائن وخان الامين ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب فحينئذ هاقيام الساعة.

ماهذا أيها النبي الكريم قد قلت هذا منذ ألف وكسر من السنين ولم يكن فى زمنك شيء من هذا وقد كان كل هذا فى زماننا. وقفة عند قوله فصار الجاهل عندهم ظريفا. أى لأنه يسايرهم فى كل شيء من غير التفات الى حل أو حرمه فيضحكهم بالحرام ويسليهم بالغيبة ويتودد اليهم بالنميمة ويعاونهم فى الزور ويشاركهم فى الفجور. فهو بطانة سوء. لهذا لا يألفون العالم فهو

عندهم ضعيف حتى لايسمعون منه أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر فقد محى كل هذا من قاموسهم فهو عندهم رجعي وهم متحضرون مجددون . وستسمع في باب العلم شيئاً من هذا .

قال صلى الله عليه وسلم : في القلب لمتان لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ، ولمة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله الشيطان يعدكم الفقر والله يعدكم مغفرة منه وفضلا — وقال الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا

هم كالنيام اغفلتهم عن نتائج أعمالهم فاذا ماتوا انكشف لهم كل شيء فيأسفون على مافرط منهم حيث لايفيدهم

اللمة هي الشعر المسترسل المجاوز شحمة الأذن والمراد أنه يحيط

بالقلب ملك من ناحية وشيطان من ناحية. فالملك يجذبه الى الخير والشيطان إلى الشر. فأن كان موفقا أطاع الملك فيسعد وإلا أطاع الشيطان فيهلك. وهذا من فضل الله حيث لم يترك الشيطان ينفرد بالإنسان فشبه تجاذبهما للقلب بتجاذب الخصلتين كل يريده إلى مايحبه له فتحدث الخواطر فى القلب فما كان من الملك سمى إلهاما وما كان من الشيطان فهو وسوسة وأنت تعلم أن القلب سلطان الجوارح فحيث مال مالت.

قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بي وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسي وإن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منه وإن تقرب إلىّ شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلىّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتانى يمشي أتيته هرولة.

النفس تطلق على الغيب ومعناه ان ذكرنى غائباً من

الخلائق لم يطلع عليه أحد ذكرته بالمجازات مما لا يطلع عليه أحد والتقرب من العبد معناه الإسراع بالطاعة والتقرب من الله معناه الإسراع بالخير والفضل والرحمة أضعافا مضاعفة . فكل على قدر إسراعه فى الطاعة . فالحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة وإلى مافوق ذلك والمراد من الملأ الملائكة ينشر فيهم خبره .

قال الله تعالى أيضاً : ماتقرّبَ إليّ عبدى بمثل ماافترضتُه ولا يزالُ عبدى يتقرّبُ إليّ بالنّوافل حتّى أُحبّهُ فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الذى يسمعُ به وبصرَهُ الذى يُبصرُ به ويدَهُ التى يبطشُ بها ورجلَهُ التى يمشى بها فبى يسمعُ وبى يبصرُ وبى يبطشُ وبى يمشى ولئن سألنى لأُعطينّهُ ولئن استعاذ بى لأعيذنّهُ وما ترددّتُ عن شىء أنا فاعلُه ترددّى عن قبض نفس عبدى المُؤمن يكرهُ الموت وأنا أكرهُ مَساءتَهُ ولا بدّ لهُ من ذلك وإنّ من

هبادى المؤمنين لِن يسألنى البابَ من العبادة فأكفُّهُ عنه لأن لايدخلُهُ العُجبُ فيُفسدَهُ ذلك وإنّ من عبادى المُؤمنين لَن لا يصلحُ إيمانُهُ إلا الغِنى ولو أفقرْتُه لأفسدَهُ ذلك وإنّ من عبادى المؤمنين لن لايصلح إيمانه إلا الفقرُ ولو أغنيتُه لأفسدَهُ ذلك وإنّ من عبادي المؤمنين لن لايصلح إيمانُهُ إلاّ الصّحةُ ولو أسقمتُهُ لأفسدهُ ذلك وإنّ من عبادى المؤمنين لن لايصلح إيمانُهُ إلا السّقمُ ولو أصححته لأفسدهُ ذلك وإني أُدبّرُ أمرَ عبادى بعلمى بقلوبهم إنّى عليم خبير .

سأل أهل البصرة ابراهيم بن أدهم فقالوا يا أبا إسحاق مالنا ندعوا فلا يستجاب لنا فقال لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء فقد عرفتم الله ولم تؤدوا حقه وزعمتم أنكم تحبون رسول الله ثم تركتم سنته وقرأتم القرآن ولم تعملوا به ولكتم نعمة الله

ولم تؤدوا شكرها وقلتم إن الشيطان عدونا وأطعتموه
وقلتم إن الجنة حق ولم تستعدوا لها وقلتم إن النار حق ولم تحذروا
منها وقلتم إن الموت حق ولم تهيئوا لها وانتهيتم عن القوم بالاشتغالكم
بعيوب الناس وتركتم عيوبكم ودفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم .

وقال صلى الله عليه وسلم خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ
عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ . قيل فأى الناس شر . قال
مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وساء عَمَلُهُ — وقال إن جبريل
رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ
فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ وَعِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَاعْمَلْ
مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ — وقال إِنَّ هَذَا الدِّينَ
مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ وَلَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ
عِبَادَةَ اللهِ فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى

يعنى ان الدين مع كونه سهلا يسيرا هو شديد فبالغوا بالعبادة
فيه برفق خشية الملل فيؤدى الى الانقطاع عنها كالذى يعمد

دابة من السير مالا تطيق فينقطع ظهرها وتموت فلا هو قطع المسافة ولا هو أبقى الظهر الذى هو الدابة . قاله لمن اجتهد فى العبادة حتى غارت عيناه . وقال :

إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاسْتَعِينُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ

سددوا أى افعلوا السداد أى الصواب وقاربوا أى اتركوا الغلو الغدوة أول النهار والروحة آخره والدلجة الليل . يعنى اشتغل بعبادة ربك أول النهار وآخره وفى جزء من الليل رجاء أن تغفر الذنوب التى توسطت هذه العبادات .

كما قال : رَوِّحُوا عَنِ الْقَلْبِ سَاعَةً فَسَاعَةً ـ وكما قال : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ جَيِّدِ الرِّيحِ جَيِّدِ الثِّيَابِ ـ وقال اغْسِلُوا ثِيَابَكُمْ وَخُذُوا مِنْ شَعْرِكُمْ وَاسْتَاكُوا وَتَزَيَّنُوا وَتَنَظَّفُوا فَإِنَّ بَنِي

إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزانت نساؤهم — وقال لابنته فاطمة : أى شىء خير للمرأة . قالت : ألا ترى رجلاً ولا يراها رجل فضمها الرسول إلى صدره وقال . ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم وقال لا ترفع عصاك عن أهلك أى لا تغفل عن تأديبهن ومنعهن عن الفساد .

وقال من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون وقال أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم — وقال إن الله سائل كل راع عن ما استرعاه حفظ أم ضيع .

كما قال . المرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها — وقال لا يحل لامرأة أن تدخل بيت زوجها أحداً إلا بإذنه

وقال صلى الله عليه وسلم . خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك فى مالك و نفسها

ثم تلا قوله تعالى . الرجال قوامون على النساء — وقال إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى زوجته و تفضى إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه — وقال من قدمت منكن فى بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين فى سبيل الله

وقال تعالى وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى

وقال صلى الله عليه وسلم : لَعَنَ اللهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجالِ بالنساءِ والمُتَشَبِّهاتِ من النساءِ بالرجالِ وقال إنَّ أربعةً لُعِنُوا فى الدُّنيا والآخِرةِ وأُمِّسَتْ الملائكةُ رجلٌ جعلَهُ اللهُ وجلاً فأنَّثَ نفسَهُ وتَشَبَّهَ بالنساءِ وامرأةٌ جعلها اللهُ أنثى فتذكَّرَتْ وتَشَبَّهَتْ بالرجالِ والذى يُضِلُّ الأعمى ورجلٌ محصورٌ ولَمْ يَجْعَلِ اللهُ محصوراً إلا يحيى عليه السلام - المحصور المجتنب للنساء - وقال يامَعْشَرَ النِّساء تَصَدَّقْنَ فإنِّي رأيتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النارِ . فقُلْنَ وبِمَ ذلك يارسولَ اللهِ . قال تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وتَكْفُرْنَ العَشيرَ مارأيتُ مِنْ ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أذهبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحازمِ مِنْ إحداكُنَّ يامَعْشَرَ النساء

وقال سيدنا على : لاتسكنوهن الغرف ولا تعلموهن

الكتابة وعلمهن الغزل وسورة النور

وقال نبينا : إذا دعا الرَّجُلُ امرأتَهُ إلى حاجتِهِ فلتأتِهِ وإنْ كانتْ على التَّنُّورِ — وقال لا تُؤْذِ امرأةٌ زوجها فى هذه الدُّنيا إلاَّ قالت زوجتُهُ من الحُورِ العينِ لا تُؤذيهِ قاتلكِ اللهُ . إنَّما هُوَ دخيلٌ عِنْدَكِ يُوشِكُ أنْ يُوافِينَا — وقال ما أكرمَهُنَّ إلاَّ كريمٌ ولا أهانَهُنَّ إلاَّ لئيمٌ — وقال استوصُوا بالنساءِ فإنَّهُنَّ خُلِقْنَ من ضِلَعٍ وإنَّ أعوجَ الضِّلَعِ أعلاهُ فإنْ ذهبتَ تُقيمُهُ كسرتَهُ وإنْ تركتَهُ لَمْ يَزَلْ أعوجَ .

فلا سبيل إلى تقويمهن وإلا حكسرتهن أى طلقتهن

وقال أمير المؤمنين اتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر . ولا تطيعوهن فى معروف حتى لا يطمعن فى منكر

وقال نبينا : لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ـ قال أبو ذر أوصاني خليلي بخصال من الخير ألا أنظر إلي من هو فوقي وأن أنظر الى من هو دوني وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت وأوصاني ألا أخاف في الله لومة لائم وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرًّا وأوصاني أن أكثر من لاحول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة

قوله أن لا أخاف في الله لومة لائم أي أن أفعل ما يرضي الله وإن لامني الناس وقوله أن أصل رحمي أي أقربائي لأمي وأبي وإن أدبروا أي قاطعوني ما لم يثقل عليهم ويكرهوا تردده عليهم

في قوله تعالى : ليس بأمانيكم ولا أماني

أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به . نزلت لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم . وقال المسلمون نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى بالله منكم

أى ليس الإيمان منوطا بالأمانى بل بالتصديق والعمل قال بن عباس لما نزلت شق ذلك على المسلمين وقالوا يارسول الله أيؤخذ لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء . قال نعم منه مايكون فى الدنيا بالبلاء والمحن - وفى الحديث - فمن يعمل حسنة فله عشر أمثالها ومن جوزي بالسيئة فقد نقصت واحدة من عشرة ويبقى له تسع حسنات . فويل لمن غلبت

آحادُهُ أعشارَهُ . وأما مَن كانَ جزاؤهُ فى الآخرةِ فَيُقابَلُ بينَ حسناتِهِ وسيِّئاتِهِ فيُلقَى مكانَ كلِّ سيِّئةٍ حسنةٌ وينظرُ فى الفاضلِ فيُعطَى الجزاءَ فيُؤتَى كلُّ ذى فضلٍ فضلَهُ

الويل اسم لواد فى جهنم أو أنه دعاء من النبى عليه وقوله غلبت أحاده أعشاره عرفت أن الحسنة بعشر . وأن السيئة بواحدة فضلا منه سبحانه فى جانب الحسنات وعدلا فى جانب السيئات فاذا قوبلت آحاد السيئات بعشرات الحسنات فزادت السيئات على الحسنات مع هذا الاعتبار فلصاحبها الويل حيث ان نسبة السيئات للحسنات واحد على عشرة فيا لخيبته

قال سيدنا على لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل . ويؤخر التوبة لطول الأمل يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم . البشاشة فخ المودة والصبر قبر العيوب والغالب بالظلم مغلوب . العجب ممن يدعو ويستبطىء الأجابة وقد سد طرقها بالمعاصى

وقال الحسن البصرى كم مستدرج بالاحسان اليه . وكم

مفتون بالثناء عليه . وكم مغرور بالستر عليه — مستدرج مهل لاستكمال ما كتب عليه — مفتون بالثناء عليه مغرور بما ليس فيه كما أنه مغرور أيضاً بالستر عليه . فظن أنه غير مؤاخذ بما فعل . وقال عليه الصلاة والسلام :

إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض — أوحى الله إلى داود عليه السلام يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والأرض إلا جعلت له مخرجاً . وقال الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهة فمن ترك ما شبه عليه من الإثم — كان لما استبان أترك . ومن اجترأ على

مايشك فيه من الإثم. أوشك أن يواقع ما استبان. والعاصي حمى الله ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه.

لكل ملك حمى يحميه وهو دولته فلا يقبل عدوانا على ذلك الحمى والله ملك الملوك له حمى وهو المحرمات يحميها من انتهاكها فلو سطى عليها جرىء قليل الأدب إما أن يأخذه أخذ عزيز مقتدر. وإما أن يدخر له من العذاب عذابه مالا قبل له به. فلا يظن من يمهله أنه ناج منه فتأخيره إما لأنه سيتوب وإما ليستوفي ما كتب عليه من المعاصي ثم يأخذه فعلى العاقل أن يتباعد عنها جهده. ومن عظيم حكمته ورفقه بعبيده أنه أحاط الكبائر بصغائر هي مقدماتها كالنظرة والقبلة والخلوة بالأجنبية وملاينتها بالكلمات المرذولة مثلا. مقدمات للزنى فحرمها لتكون كحصن للكبائر فاذا ابتعد عنها كان عن الكبائر أبعد.

وقال صلى الله عليه وسلم: إياكم والجلوس على

الطُّرُقاتِ قالوا مالَنا بُدٌّ إنَّما هِيَ مَجالِسُنا نَتَحَدَّثُ فِيها قال فإنْ أبَيْتُمْ إلاَّ ذلكَ فأعْطُوا الطَّريقَ حَقَّهُ قالوا وما حَقُّ الطَّريقِ قال غَضُّ البَصَرِ وكَفُّ الأذَى ورَدُّ السَّلامِ والأمْرُ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ

الجلوس على الطريق لايخلو من الوقوع فى مناهٍ هو فى غنى عنها . لذا حذرنا رسول الله منه فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح كما ينبغى اختيار الجليس فالطباع سراقة والمرأ يصلحه الجليس الصالح .

وقال المَرْءُ عَلى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أحَدُكُمْ مَنْ يُخالِلُ وكما قال مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ حامِلِ المِسْكِ إنْ لَمْ يُعْطِكَ أصابَكَ مِنْ رِيحِهِ ومَثَلُ الجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صاحِبِ الكِيرِ إنْ

لَمْ يُحْرِقْكَ أُصابِكَ مِنْ دُخانِهِ — وقال الْوَحْدَةُ خَيرٌ مِنْ جَليسِ السُّوءِ والجليسُ الصَّالِحُ خَيرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ وإِملاءُ الْخَيرِ خَيرٌ مِنَ السُّكُوتِ والسُّكوتُ خَيرٌ من إملاءِ الشَّرِّ

فالوحدة فيها سلامة بخلاف مجالسة أهل السوء فلا سلامة فيها ومجالسة الصالح فيها استفادة من قول أو فعل. فهي خير من الوحدة. وإملاء الخير الذي هو القول المفيد في دين أو دنيا خير من السكوت والسكوت عن الشر خير من قول الشر.

وقال. الْمُسْتَبَّانِ ما قالا فَعَلَى الأَوَّلِ حَتَّى يَتَعَدَّى الْمَظْلُومُ.

المتشاتمان مدة شتمهما فالذنب على المبتدىء ولا ذنب على غير المبتدىء إذا لم يزد.

قال تعالى: وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها.

وقال ﷺ أقبلوا على ما كلفتموه من إصلاح آخرتكم وأعرضوا عما ضمن لكم من أمر دنياكم ولا تستعملوا جوارح غذيت بنعم الله في التعرض لسخطه بمعصيته واجعلوا شفاءكم بالتماس مغفرته واصرفوا همكم إلى التقرب إليه بطاعته فإنه من بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبه من الآخرة ولا يدرك من الدنيا كل ما يريد ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبه من الدنيا وأدرك من الآخرة كل ما يريد

نصيب الدنيا محدود لايزيد فيه أى مجهود . قال الله تعالى

نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا

ونصيب الآخرة غير محدود ولا مقطوع ولا ممنوع فالمجهود فيه يزيد منه . فالجهاد في الدنيا جهاد في غير عدو

نعم يعمل للدنيا بحيث لا يفوّت عليه آخرته وينبغى التأمل فى قوله ولا تستعملوا جوارح غذيت بنعم الله فى التعرض لسخطه بمعصيته لندرك أنا ما عصينا مولانا إلا بنعمته . فالمستعمل للفرج فى الزنى قد عصى الله به وهو نعمة منه وكذلك العين والسمع واليد والمال والجاه إلى غير ذلك . فله أن يستلب هذه النعم عند استعمالها فيما يغضبه مع أنه علاوة على أنها منه فهو الذى يمد العبد ببقائها فيه وحفظها عليه . حديث . قليل فى جانبه أن يكتب بماء الذهب .

وقال صلى الله عليه وسلم . يا سعدُ أطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجابَ الدَّعْوَةِ والذى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إنَّ العَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الحَرامَ فى جَوْفِهِ ما يُتَقَبَّلُ اللهُ مِنْهُ عَمَلَ أرْبَعِينَ يَوْماً وأيُّما عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ فالنَّارُ أوْلى بِهِ — وقال التَّدْبِيرُ نِصْفُ المَعِيشَةِ والتَّوَدُّدُ نِصْفُ العَقْلِ والهَمُّ نِصْفُ الهَرَمِ

وقلة العيال أحد اليسارين — وقال . أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم — وقال المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل جسم ماعودته

الحمية هي العفة عن الاكثار من الطعام حتى لا ينشأ فيها الداءات

قيل يارسول الله : الرجل يعمل العمل خفية ثم يتحدث الناس فيفرح فقال له الاجر مرتين أجر العمل وأجر الفرح فإن مدح بما ليس فيه فمقر بذلك فهو جاهل بربه

يعني لو كان على علم بربه وأنه يعلم أن مدح الناس له في غير محله لما فرح لأنه يدرك أن من وراء ذلك عذاباً شديدا

قال الله تعالى . ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم

عَذَابٌ أَلِيمٌ — وقال عليه الصلاة والسلام : مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا — وقال . إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّهُ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمْ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ . التَّقْوَى هَاهُنَا ثَلَاثًا وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ وَكُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ

حتى ينكح أو يترك

التجسس بالجيم هو البحث عن عورات الناس والتحسس بالحاء هو التسمع لما لا يحب الناس أن يسمع والتدابر هو أن يعطى الرجل ظهره لمن يكره لأن ذلك يزيد فى الخصومة والتناجش هو المزايدة فى الشراء . لأن ذلك يؤدى بالمغلوب إلى إضمار الحقد وقد يترتب على ذلك مالا تحمد عقباه كما هو الجارى .

جاء رجل إلى رسول الله وقال له : علمنى عملاً إذا عملته أحبنى الله والناس . قال : إزهد فى الدنيا يحبك الله وازهد مما فى أيدى الناس يحبك الناس

وقال من انقطع إلى الله كفاه كل مؤونة ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها ومن حاول أمراً بمعصية الله كان أبعد مما رجا وأقرب مما اتقى ومن طلب محامد الناس بمعصية الله عاد

حَامِدُهُ مِنْهُمْ ذَامُّهُ وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ وَمَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ شَرَّهُمْ وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عَلَانِيَتَهُ وَمَنْ عَمِلَ لِآخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ

هذا الحديث يحتاج فى شرحه إلى كتاب فحاول فهمه بأية وسيلة وقد لا تعدمها .

ويقول . فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ — أى الحاضر الْغَائِبَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِى كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ

وقال . إذا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِى النَّارِ . قالوا يارسول الله . هذا الْقَاتِلُ

فما بالُ المقتولِ قال . لأنَّ كُلاً حريصٌ على قتلِ صاحبِهِ — وقال . لا تمكروا ولا تعينوا ماكراً فإنَّ اللهَ يقول . ولا يحيقُ المكرُ السيِّئُ إلاَّ بأهلِهِ ولا تبغوا ولا تعينوا باغياً . فإنَّ اللهَ تعالى يقول : إنَّما بغيُكُمْ على أنفسِكُمْ ولا تنكثوا ولا تعينوا ناكثاً . فإنَّ اللهَ تعالى يقول : فمَنْ نكثَ فإنَّما ينكثُ على نفسِهِ

النكث هو نقض ما اتفق عليه من بيع أو شراء أو نكاح أو عهد أو غير ذلك .

وقال . مَنْ تأنَّى أصابَ أوْ كادَ ومَنْ عجلَ أخطأَ أو كادَ — يقول اللهُ سبحانه : يا عبادي إنِّي حرَّمْتُ الظُّلْمَ على نفسي وجعلتُهُ بينكُمْ محرَّماً فلا تظالموا يا عبادي كلُّكُمْ ضالٌّ إلاَّ مَنْ هديتُهُ فاستهدوني أهدِكُمْ . يا عبادي كلُّكُمْ جائعٌ

إلاّ مَنْ أطعمتُهُ فاستطعِموني أُطعِمكُمْ . يا عبادي كُلُّكُمْ عارٍ إلاّ مَنْ كسوتُهُ فاستكسُوني أكسكُمْ . يا عبادي أنّكُمْ تُخطِئُونَ باللّيلِ و النّهارِ وأنا أغفرُ الذُّنوبَ فاستغفِرُوني أغفِرْ لكُمْ . يا عبادي إنّكُمْ لَنْ تبلُغُوا ضُرّي فتضُرُّوني . ولَنْ تبلُغُوا نفعي فتنفعُوني . يا عبادي لَوْ أنّ أوّلكُمْ وآخرَكُمْ وإنسكُمْ وجنّكُمْ كانُوا على أتقى قلبِ رجُلٍ واحدٍ منكُمْ ما زادَ ذلكَ في مُلكي شيئًا . يا عبادي لوْ أنّ أوّلكُمْ وآخرَكُمْ وإنسكُمْ وجنّكُمْ كانُوا على أفجرِ قلبِ رجُلٍ واحدٍ منكُمْ ما نقصَ ذلكَ من مُلكي شيئًا

يا عبادي لوْ أنّ أوّلكُمْ وآخرَكُمْ وإنسكُمْ وجنّكُمْ قامُوا في صعيدٍ واحدٍ فسألُوني فأعطيتُ كُلّ واحدٍ مسألتَهُ ما نقصَ ذلكَ مِنْ مُلكي إلاّ كما ينقُصُ المِخيطُ إذا أُدخلَ البحرَ . يا عبادي إنّما هِيَ

أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن
وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك
فلا يلومن إلا نفسه . وقال صلى الله عليه وسلم :
من فوض أمره إلى الله عز وجل فهو
داخل في قوله تعالى إن المسلمين والمسلمات ومن
أقر بأن الله ربه ومحمداً رسوله ولم يخالف قلبه
لسانه فهو داخل في قوله تعالى والمؤمنين والمؤمنات
ومن أطاع الله في الفرض والرسول في السنة
فهو داخل في قوله تعالى والقانتين والقانتات ومن
صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله تعالى
والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن
المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله تعالى
والصابرين والصابرات ومن صلى ولم يعرف من

عَلى يَمِينِهِ ولاَ مَنْ عَلى شِمالِهِ فهُوَ داخلٌ فى قوله تعالى والخاشعينَ والخاشعاتِ ومَنْ تصدَّقَ فى كُلِّ شَهْرٍ بِدِرْهَمٍ فهو داخلٌ فى قوله تعالى والمتصدِّقينَ والمُتصدِّقاتِ ومَنْ صامَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثلاثةَ أيامِ البيضِ الثالثَ عشر والرابعَ عشر والخامسَ عشر فهو داخلٌ فى قوله تعالى والصائمينَ والصائماتِ ومَنْ حَفِظَ فَرْجَهُ عنِ الحرامِ فهو داخلٌ فى قوله تعالى والحافظينَ فُروجَهُمْ والحافِظاتِ ومَنْ صلَّى الخمسَ فى أوقاتِها فهو داخلٌ فى قوله تعالى والذاكرينَ اللهَ كثيراً والذاكِراتِ .

ثم ختم الله الآية بما هو جزاء للجميع بقوله :

أعدَّ اللهُ لهُمْ مغفرةً وأجراً عظيماً وقال

السَّاعى على الأرملةِ والمسكينِ كالمُجاهدِ فى سبيلِ

اللهِ وكالقائمِ الذي لا يفترُ وكالصائمِ الذي لا يفطرُ

وقال الظلمُ ظلماتٌ يومَ القيامةِ .

وذلك فيما إذا سعى المتقون بنورهم اكتنفت الظالم ظلمات الظلم . وقال :

اتقوا دعوةَ المظلومِ فإنها ليس بينها وبينَ اللهِ حجابٌ — كناية عن قبولها وعدم ردها .

وقال : رحمَ اللهُ امرأً سمحاً إذا باعَ وإذا اشترى وإذا اقتضى وإذا قضى

إذا اقتضى دينه الذي له ؛ وإذا قضى أي دينه الذي عليه فلا يتشدد في إرهاق المدين وينتظر يساره .

يقول الله تعالى : وإنْ كانَ ذو عسرةٍ فنظرةٌ إلى ميسرةٍ — وعلى المدين ألا يماطل متى قدر على السداد للحديث مطلُ الغنيِّ ظلمٌ

والمراد في الكل السهولة في المعاملة استبقاء للمودة ورجاء البركة - يقول عليه الصلاة والسلام :

تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللهِ .

أي فيما يحل التخلق به من علم وكرم وعفو وسماحة ورحمة وإزالة كرب إلى غير ذلك - لا فيما نهينا عنه كالكبر والعظمة مثلا

ويقول ﷺ إِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحُ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقُ لِلشَّرِّ - وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحُ لِلشَّرِّ مَغَالِيقُ لِلْخَيْرِ - فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ مِغْلَاقًا لِلشَّرِّ - وَالْوَيْلُ لِمَنْ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ مِغْلَاقًا لِلْخَيْرِ .

ومن هنا طلب منا الشارع أن نشكر من أجرى الله الخير على يديه .

قال الله تعالى : لَمْ يَشْكُرْنِي مَنْ لَمْ يَشْكُرْ

مَنْ أَجْرَيْتُ النِّعْمَةَ عَلَى يَدَيْهِ — كما قال نبيه : مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ .

وأما من أجرى الشر على يديه فلشريته ، وعلى من وقع عليه الشر أن يصبر وأن يجاز له مقابلة السيئة بالسيئة . فالصبر وراءه الأجر . وعلى الباغي الوزر . والمقابلة مفوتة للأجر .

يقول صلى الله عليه وسلم : إِذَا جَمَعَ اللهُ الْخَلَائِقَ يوم القيامةِ نَادَى مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْفَضْلِ فَيَقُومُ نَاسٌ وَهُمْ يَسِيرٌ فَيَنْطَلِقُونَ سِرَاعًا إِلَى الْجَنَّةِ فَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَيَقُولُونَ لَهُمْ إِنَّا نَرَاكُمْ سِرَاعًا إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ نَحْنُ أَهْلُ الْفَضْلِ . فَيَقُولُونَ لَهُمْ مَا كَانَ فَضْلُكُمْ فَيَقُولُونَ : كُنَّا إِذَا ظُلِمْنَا صَبَرْنَا . وَإِذَا أُسِيءَ إِلَيْنَا عَفَوْنَا . وَإِذَا جُهِلَ عَلَيْنَا حَلُمْنَا فَيُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ — وقال . لَا ضَرَرَ وَلَا

ضِرَارَ — أى لاتضر نفسك ولا غيرك — وقال . سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تحتَ ظِلِّهِ يومَ لاظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ . الإمامُ العادِلُ . وشابٌ نَشَأَ فِي عِبادَةِ ربِّهِ ورَجُلٌ قلبُهُ مُعَلَّقٌ بالمساجِدِ . ورَجُلانِ تحابَّا فى اللهِ اجتمعا عليهِ وافترقا عليهِ . ورَجُلٌ طَلَبَتْهُ إمرأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجَمالٍ فقال إنِّى أخافُ اللهَ ورَجُلٌ تَصَدَّقَ أخفَى حتَّى لاتعلمَ شِمالُهُ ماتُنْفِقُ يمينُهُ . ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خالِيًا ففاضَتْ عَيْناهُ .

خص ذات المنصب والجمال لما لها من سلطان المنصب والجمال على النفوس فمن آثر طاعة ربه على طاعتها كان له تلك الكرامة وقوله ذكر الله خاليا أى منفرداً مستتراً عن الخلق أو خالياً من شواغل الدنيا مستفرغاً لربه خفافه فبكى .

لذا قال : لايَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ

الله حتى يعود اللبن فى الضرع ولا اجتمع على منخرى غبار فى سبيل الله ودخان جهنم .

الباب الثانى

فى العلم

وقال عليه الصلاة والسلام . إن الله ضرب بين كتفى فوجدت برد أنامله بين ثديى فعلمت علم الأولين والآخرين .

لم يكن من الله ضرب بين كتفى الرسول كما لم تكن له أنامل وإنما ذلك تمثيل وتصوير على وفق المتعارف تقريبا للفهم وأن معنى ذلك على وجه التقريب والله ورسوله أعلم أن الله سبحانه نفذ بقدرته الى قلب نبيه فأثر فيه العلم التام حتى شعر بأثر ذلك فى قلبه فانشلج صدره وانشرح لشعوره بنعمة ربه

قال سيدنا عمر كنت أدخل على النبى وأبى بكر يتكلمان فى

علم التوحيد فأجلس بينهما كأني زنجي . أي أنه لم يعقل كلامهما لارتفاعهما في البحث عن المتناول — لكل شيء قانون ونظام يتبع حتى تقع الأعمال صحيحة مقبولة . والأولى بذلك عبادة الله سبحانه فقد وضع لها قانوناً تؤدى بمقتضاه . إن وافقته صحت وأثيب عليها وإلا بطلت وعذب عليها . لذلك أوجب الله علينا العلم تعلماً وتعليما . وقد أتم الله على رسوله نعمة العلم الشامل ليستطيع القيام بهذه المهمة . لذلك رفع الله من درجة المعلم والمتعلم والمتسبب .

قال صلى الله عليه وسلم : خَيْرُ النَّاسِ وَخَيْرُ مَنْ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الْمُعَلِّمُونَ فَإِنَّهُمْ كُلَّمَا خَلِقَ الدِّينُ جَدَّدُوهُ . أَعْطُوهُمْ وَلَا تَسْتَأْجِرُوهُمْ فَإِنَّ الْمُعَلِّمَ إِذَا قَالَ لِلصَّبِيِّ قُلْ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَقَالَهَا كَتَبَ اللهُ بَرَاءَةً لِلصَّبِيِّ . وَبَرَاءَةً لِلْمُعَلِّمِ وَبَرَاءَةً لِوَالِدَيْهِ مِنَ النَّارِ .

وقوله : أعطوهم ولا تستأجروهم . يعنى حتى لا يكون على المعلم سلطان المستأجر فيخلص تعليمه لوجه ربه . ثم تقديم المعلم على الوالدين فى الحديث يدل على أن درجته فوق درجتهما كما نص العلماء على ذلك فهو قد ربى الروح وتربيتها للبدن . والروح سر الجسم . فأنت بالروح لا بالجسم إنسان .

وعن بن عباس تعليم الصغار يطفىء غضب الجبار .

وقال عليه الصلاة والسلام : أَطْلُبُوا الْعِلْمَ وَأَطْلُبُوا مَعَ الْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ لِينُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ وَلِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ فَيَغْلِبَ جَهْلُكُمْ حِلْمَكُمْ — وقال وَيْلٌ لِلْعَالِمِ مِنَ الْجَاهِلِ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمْهُ — وقال وَيْلٌ لِلْجَاهِلِ مَرَّةً . وَوَيْلٌ لِلْعَالِمِ إِذَا لَمْ يُعَلِّمْهُ عَشْرَ مَرَّاتٍ — وكما قال : إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِلْعَالِمِ أَرْبَعِينَ ذَنْبًا قَبْلَ أَنْ يَغْفِرَ لِلْجَاهِلِ ذَنْبًا وَاحِدًا .

قيل فى الجمع بينهما أن الحديث الأول فيما إذا لم يتوبا .

والثانى فيما إذا تابا . فان عذاب العالم عند عدم توبتهما أشد . فالعالم بيده مصباح العلم يستدرك به ما فات فقد يجبر من الخلل فى شهر مالا يجبره الجاهل فى سنة .

وقال : آفة اليتيم ثلاثة . فقيه فاجر . وإمام جائر ومجتهد جاهل .

الفقيه الفاجر هو الخارج عن حدود العلم . و الامام أى الحاكم الجائر الذى يتعدى الحق فى حكمه . والمجتهد الجاهل يتأول فى الشرعيات لا عن علم فيضل ويضل غيره .

لذا قال . من أفتى بغير علم فقد ذبح بغير سكين .

أى أنه هالك ولا يدرى . ومن هنا شاعت أحكام لا أصل لها فى الدين تخلط الحق بالباطل ووقع الناس فى الشر . فالافتاء له أهله فلا يجوز الأخذ عن غيرهم .

و قال صلى الله عليه وسلم : حدث الناس

مَا حَمَلَكَ بِإِنْصَارِهِمْ .

أي نظروا إليك بعدة رغبة منهم فى سماع العلم . وإلا فلا تعلمهم لأنه يكون عرضاً له على غير طالبيه وقد قيل كل معروض مهان . كما لا تكتمه عن طالبيه فتقع فى وعيد قوله صلى الله عليه وسلم :

كَاتِمُ الْعِلْمِ يُلْجَمُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وقال . لاتُؤْتُوا الْحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِهَا فَتَظْلِمُوهَا وَلَا تَمْنَعُوهَا عَنْ أَهْلِهَا فَتَظْلِمُوهُمْ .

نهى عن تعليم العلم للأدنياء المستهترين لأنه يزيد فى فطنتهم فيستعينون به على الافساد والفساد .

لهذا يقول صلى الله عليه وسلم . لَا تُعَلِّمُوا أَوْلَادَ السَّفَلَةِ الْعِلْمَ

وينبغى لمعلم العلم أن لا يرتفع بالعبارة عن مستوى من يعلمهم حتى لا يسمعهم مالا تحتمله طاقتهم فينعكس فهمهم

قال ﷺ ما حدّث أحد قوماً بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم وقال الله من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين

قال العلماء المراد العلم فهو أفضل ما يعطى

وقال لأن تغدو فتتعلم باباً من العلم خير لك من أن تصلي مائة ركعة وقال الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها

فالمؤمن تواق إلى العلم فاذا فهم مسألة فرح بها كما يفرح من وجد ضالته بعد فقدها

وقال خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت

وقفة في قوله من أي وعاء خرجت لنعلم أنه مطلوب منا أن

نأخذ العلم عمن هو عنده من غير التفات إلى عمله به فالخير لنا ووبال عدم عمله عليه . ولا نتعلل بأن العلماء أهل دنيا أو أنهم غير عاملين بعلمهم لأن ذلك يؤدى الى تعطيل وظيفة العلماء وبقاء المسلمين فى جهالتهم وهذه غلطة شنيعة فلنتعلمهم كأرباب المهن كما نأخذ التجارة عن التجار والحدادة عن الحداد وكذلك الطبيب والمهندس. من غير أن ننظر الى صلاح وتقوى ولنعلم أن ذلك تسويلات شيطانية ليوقعنا فى هوة الجهالة حتى لا تصح لنا عبادة . وهذا هو مرمى الحديث فهو حجة علينا . يقول الشاعر

اِعْمَلْ بِقَوْلِي وَلاَ تَنْظُرْ إِلَى عَمَلِي

يَنْفَعْكَ قَوْلِي وَلاَ يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

ومن هنا ندرك تشديد الشارع فى غيبتهم لما يترتب على ذلك مما علمت وليس ذلك لأشخاصهم

وقال إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ

مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَا
وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ
أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ تَعَالَى بِهِ النَّاسَ
فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَ طَائِفَةً
أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ
كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ عَزَّ
وَجَلَّ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ تَعَالَى بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ
وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى
اللهِ تَعَالَى الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ

فقد قسم الناس الى ثلاثة أقسام قسم تعلم العلم وعمل به وعلمه الناس وقسم تعلم ولم يعمل غير أنه علمه لغيره وقسم لم يتعلم ولم يعمل فالأرض الخصبة التى قبلت الماء فأنبتت وانتفع الناس بالشرب من الماء وزرعوا فهذا مثل العالم الذى تعلم وعلم وعمل والأرض التى ليست خصبة لا تقبل الماء إلا أنها حفظته فانتفع

به الناس مثل العالم الذى تعلم وعلم غيره ولم يعمل به . والأرض الملساء التى ينحدر عنها الماء فلم تمسكه ولم تحفظه حتى ينتفع به الناس مثل من لم يتعلم ولم يعمل أى انه لم يستمع لما جاء عن نبيه فاختار الجهل

وقال صلى الله عليه وسلم مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وإِنَّ الملائكةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًى لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِى الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وفى رواية كَفَضْلِى عَلَى أَدْنَاكُمْ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وإِنَّمَا أَوْرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ

وقال بن عباس خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض فانهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزريبة

ان العلم شريف مشرف يعتز به كل انسان ويتبرأ من الجهل ولو كان جاهلا فاذا برز فيه إنسان وقعت الغيرة في قلب منافسه لأنه يكره أن يكون دونه فيه فيقع التغاير وهو المعبر عنه بالحسد في حديث عيسى عليه السلام

وقال عليه الصلاة والسلام إذا كان يوم القيامة وحشر الله الخلائق لفصل القضاء ينصب تحت العرش كراسي من نور ثم ينادي منادٍ من قبل الله تعالى أين العلماء ورثة الأنبياء فيقوم خلق من خلق الله لم يعلم عددهم إلا الله حتى يقفوا بين يدي الله تعالى فمن كان علمه وعمله لله تعالى أجلس على كرسي

مِنْهَا وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْكَرَامَةِ وَيُقَالُ اشْفَعْ فِي تَلَامِيذِكَ وَلَوْ بَلَغَ عَدَدُهُمْ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ فَقَدْ شَفَّعْتُكَ فِيهِمْ وَمَنْ كَانَ عِلْمُهُ لِدُنْيَا فَقَدْ نَالَ حَظَّهُ مِنْهَا وَلَا حَظَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ فَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ

ليس الله تاركا للعلماء بل هو محاسبهم أشد من غيرهم فهم محاسبون عنده لا عندكم فخذوا عنهم ودعوهم لربهم

وَعَالِمٌ بِعِلْمِهِ لَمْ يَعْمَلَا
مُعَذَّبٌ مِنْ قَبْلِ عُبَّادِ الْوَثَنِ

وقال إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَحْتَاجُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَزُورُونَ اللهَ تَعَالَى فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فَيَقُولُوا لَهُمْ تَمَنَّوْا عَلَيَّ مَا شِئْتُمْ فَيَلْتَفِتُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ فَيَقُولُونَ مَاذَا نَتَمَنَّى

فيقولون لهم تمنّوا كذا وكذا فهم يحتاجون إليهم في الجنّة كما يحتاجون إليهم في الدنيا

معنى زيارتهم لله سبحانه أنهم يذهبون كل جمعة الى مكان عام في الجنـــة كمتنزه لتلقى مزيد فضل الله الذى يتجدد على الدوام لهذا يكررون الزيارة فلا مكان لله حتى يزار فيه كل . هذا للعاملين واسمع ما ورد فى غيرهم منهم عالمين ومتعلمين

قال عليه الصلاة والسلام إذا تعلّم الناس العلم وتركوا العمل وتحابّوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمّهم وأعمى أبصارهم

فلندقق فى تفهم معنى هـــذا الحديث فأخشى أن يفسر بالواقع فتكون الأبصار قد عميت والأسماع قد صمت .. عميت فلم تر وصمت عن السماع ووقع الاضلال مع العلم كابليس . فزلة العالم مضروب بها الطبل وزلة الجاهل يسترها الجهل

وقال عليه الصلاة والسلام اللّهُم لا يُدْرِكْنى ولا أُدْرِكُهُ زَمانٌ لايستَحيُونَ فيهِ مِنَ الْحِلْمِ وَلاَ يَستَحْيُونَ فِيهِ مِنَ الْحَلِيمِ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْعَجَمِ وألْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ

ويقول رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بى الى السَّماءِ رِجالاً تُقْرَضُ شِفاهُهُمْ بِمَقارِيضَ من النّارِ قُلْتُ مَنْ هؤُلاءِ ياجبريلُ قال: هؤُلاءِ خُطَباءُ أُمَّتِكَ يأمُرُونَ النّاسَ بالبِرِّ وينسَوْنَ أَنفُسَهُمْ كما قال تعالي أتأمُرُونَ الناسَ بالبِرِّ وتنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وأَنتُمْ تتْلُونَ الكِتابَ أَفَلا تعْقِلُونَ — أى أفلا تعقلون ما تتلون

تنديد وتوبيخ يدركه أرباب العقول السليمة لان من هذا شأنه كأنه لا عقل له فلم يعقل

كما قال عليه الصلاة والسلام يُجاءُ بالرَّجُلِ يومَ القيامةِ فيُلْقَى فى النَّارِ فتَنْدَلِقُ أقتابُهُ فى النَّارِ فيَدُورُ كما يَدُورُ الحِمارُ برحاهُ فيجتمعُ أهلُ النَّارِ عليهِ فيقولونَ يافُلانُ ما شأنُكَ ألَيْسَ كُنْتَ تأمرُنا بالمعروفِ وتَنْهانا عنِ المُنْكَرِ قال كُنْتُ آمرُكُمْ بالمعروفِ ولا آتيهِ وأنهاكُمْ عنِ المُنْكَرِ وآتيهِ (اقتابه أمعاؤه) وقال أنتُمْ فى زمانٍ عُلَماؤُهُ كثيرٌ وخُطَباؤُهُ قليلٌ مَنْ تَرَكَ عُشْرَ ما يَعْلَمُ هَلَكَ وسيأتى على النَّاسِ زمانٌ يَقِلُّ عُلَماؤُهُ ويَكْثُرُ خُطَباؤُهُ فمَنْ تَمَسَّكَ فيهِ بِعُشْرِ ما يَعْلَمُ نَجا

وذلك لكثرة البطالين . فالدين يتطلب تعاونا ، ولا تعاون وأما في عهده صلى الله عليه وسلم فكان التعاون تاما لكثرة العاملين

فى زمانه وقلتهم فيما بعد ، وكثر القوالون الثرثارون الذين هم الخطباء فى الحديث . فأنت تسمع منهم فتتخيل فيهم أنهم من أمثال ابن الخطاب أو ابن عبد العزيز تصدر منهم الفاظ خلابة عامرة المعانى فيما يبدو لكنها جوفاء إذا ما قارنت بين الأقوال والأفعال . يملأون بصياحهم البقاع وترتج من هماسهم الجدران واستعانوا بتلك الثرثرة على الجدل

يقول نبينا ما ضل قوم بعد إذ هداهم
إلا أوتوا الجدل — وقال ابن الخطاب إذ أراد
الله بقوم سوءا منعهم الجدل ومنعهم العمل —
لهذا يقول نبينا قليل من التوفيق خير من
كثير من العلم — وقال أيما عبد جاءته
موعظة من الله فى دينه فهى نعمة من الله
عليه فإن قابلها بالشكر وإلا كانت نقمة من
الله عليه ليزداد إثما وتزداد الله عليه سخطا

وقال يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم — عن أبي هريرة قال شر الناس الذين يسألون عن شرار المسائل كي يغلطوا بها العلماء

قال الله تعالى يا عيسى بن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني .

وقال أنس قيل يارسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال إذا ظهرت المداهنة في خياركم والفاحشة في شراركم والملك في صغاركم والعلم في أرذالكم — الرذل الدني — قد ظهرت المداهنة في الأخيار والفاحشة في الاشرار والعلم في الأرذال

وقال في قوله تعالى عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ . إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَوَامِّ

فيه انه صلى الله عليه وسلم قال : لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا جَائِرًا لا يُجِلُّ كَبِيرَكُمْ وَلا يَرْحَمُ صَغِيرَكُمْ وَيَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلا يُسْتَجَابُ لَهُمْ وَيَسْتَنْصِرُونَ فَلا يُنْصَرُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ فَلا يُغْفَرُ لَهُمْ — قال الغزالي تسقط مهابتهم من أعين الأشرار فلا يهابونهم

وقال لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا

خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمرِ النَّعَمِ . وفى رواية خَيرٌ لَكَ مِنَ الدنيا وَمَا فِيهَا وقال مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لم يستطع فَبِقَلْبِهِ وذلكَ أَضْعَفُ الأيمانِ - قال ابو عبيدة قلت يارسول الله أى الشُّهَدَاءِ أَكْرَمُ على الله عز وجل قال رَجلٌ قَامَ إلى والٍ جائرٍ فَأَمَرَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَقَتَلَهُ فَإِنْ لَمْ يَقْتُلْهُ فَإِنَّ القَلَمَ لا يَجْرِى عَلَيْهِ بَعْدَ ذلكَ وَإِنْ عَاشَ ما عاش وفى رواية فَهُوَ شَهِيدٌ مَنْزِلَتُهُ فِى الجنةِ بَيْنَ حَمْزَةَ وَجَعْفَرَ

وقال صلى الله وسلم لا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ولا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ إلاَّ رَفِيقٌ فيما يأمُرُ بِهِ رَفِيقٌ

فيما ينهى عنه : حليم فيما يأمر به . حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه

رفيق فلا يستصحب للغلظة حتى ينفر منه الناس فلا يأخذوا عنه العلم

يقول الله لنبيه وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ

حليم لأنه قد يسقط من هو سيىء الخلق فيسىء اليه فيقابله بحلمه وإلا لوقع فى شر وقد أراد خيرا كما يقع ممن ليسوا بأهل للإرشاد فتحصل المشادة والمنازعة . فقيه حتى لا يوقع الناس فى الباطل فيضلهم كما ضل . وهو جار الان ونشأ منه شيوع أحكام الدين يربىء منها

وقال نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ —

وقال ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون أن يغيروا فلا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب - أوحى الله إلى يوشع عليه السلام إني مهلك من قريتك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يغضبوا لغضبي وآكلوهم وشاربوهم مصداق ذلك قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة - قال أنس يارسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله

ذلك لأنه قد يستفيد المأمور بالأمر والمنهى بالنهى ولا يُحْرِمُ الآمرُ

والناهى من الأجر وهى فسحة عظيمة

عن عبد الله بن سليمان بن أكثم الليثى قال قلت يارسول الله إنى إذا سمعتُ منكَ الحديثَ فلا أستطيعُ أن أرويَه كما أسمعُ منكَ يزيدُ حرفًا أو ينقصُ حرفًا فقال إذا لم تُحِلُّوا حرامًا أو تُحَرِّموا حلالًا وأصبتُم المعنى فلا بأس -

ومن هذا الحديث أخذ صحة رواية الحديث بالمعنى

وقال من زارَ عالمًا فكأنما زارَ بيتَ المقدسِ محتسبًا وحرَّمَ اللهُ لحمَهُ وجسدَهُ على النارِ ومَنْ أدركَ مجلسَ علمٍ فليس

عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شِدَّةُ عَذَابٍ — وقال وَهَلْ يَنْفَعُ الْقُرْآنُ إِلَّا بِالْعِلْمِ — وقال تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ وفى رواية خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً

فجعل العلماء الأولى على تفكير أهل الدليل والثانية على تفكير أهل الشهود

وقال نَظَرُ الرَّجُلِ فِى الْعِلْمِ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً

ذلك لأن النظر فى العلم يحصل أحكاما تبقى معه وينتفع بها صاحبها طول حياته مع ازالة جهل ، والعبادة إنما يحصل بها ثوابا ولا تزيل جهلا بل قد تقع العبادة على جهل فتبطل

كما قال ما عُبِدَ اللهُ بِشَىْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهٍ فِى الدِّينِ وَفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ

مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ وَعِمَادُ الدِّينِ الْفِقْهُ — وقال اطْلُبُوا الْعِلْمَ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ — وقال لا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ إِلَّا بِعَالِمٍ نَاطِقٍ أَوْ لِمُسْتَمِعٍ وَاعٍ — وقال أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْعِلْمَ ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. وقال كُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا أَوْ مُحِبًّا وَلَا تَكُنِ الْخَامِسَةَ فَتَهْلِكَ (الخامسة هي بغض العلم)

وقال الدنيا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ ما فِيهَا إِلَّا عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا

غير أنه ينبغي لمن أراد أن يتكمل فعليه أن يضيف إلى جانب تفقهه جانبا من التصوف لتصفو نفسه ويعرف قدر ربه وقدر عبادته فالاقتصار على أحدهما فسق أو زندقة

يقول سيدنا مالك من تفقه ولم يتصوف
فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه
فقد تزندق

وقد وقع فى شر ادعاء التصوف بلا تفقه جهلة كثيرون وتخيلوا لأنفسهم مراتب ومقامات بل وظنوا انه قد رفع عنهم التكليف فتركوا الواجبات وارتكبوا المحرمات فكان الفسق والزندقة بل والكفر لأن استحلال المحرمات كفر باتفاق العلماء فتراهم يشتمون الناس ويتجرءون على الأولياء . تنويها إلى الولاية وتغريرا بالبسطاء مقابل قروش ينالونها وإذا تعرضت لهم على وجه النصح حركوا رءوسهم وأزبدوا وهددوا فما أفقرهم

ولذا قال نبينا لا فقر أشد من الجهل — وقال

ما جمع شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم

ومن الأحاديث التى مرت سليك فى الأمر والنهى تعلم أن هناك درجتين عليا وهى أن يكون الآمر الناهى عاملا

بالأمر والنهى . ودرجة نازلة وهى أن لايكون كذلك . وقد علمت أن هذه فسحة عظيمة فلولا ذلك لما ساغ لأحد أن يأمر أو ينهى إذ لم يكن قد قام هو بالمأمورات والمنهيات فعلينا أن نعلم وإن لم نعمل لينتفع بالعلم طلابه كما سبق لك

الآن وقد تهيأت للعمل أخلاقيا وعلميا فأقبل على ما يأتى من أمر الصلاة وما بعدها فقد أحطت بما يحدد موقفك ويسهل مأموريتك . ولا تغفل عن قول النبى الناس معادن كمعادن الذهب والفضة . فالقطعة من الذهب تعادل فى قيمتها مائة قطعة من الفضة وألفا من المعدن فكذلك الرجال فمنهم من يعادل الذهب بالنسبة إلى غيره ومنهم من يعادل القطعة من الفضة أو القطعة من المعدن - وكل ألف تعد بواحده فاعمل على أن تكون من النوع الذهبى

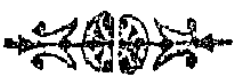

الباب الثالث

فى الصلاة وشرائطها

قال صلى الله عليه وسلم لا يُعَذَّبُ أَحَدٌ فِى قَبرِهِ إلاّ بإِحْدَى ثَلَاثٍ فِى الْغِيبَةِ والنَّمِيمَةِ والْبَوْلِ

فالاستبراء من البول شرط من شروط صحة الوضوء والوضوء من شروط صحة الصلاة فاذا لم يصح الإستنجاء لم يصح الوضوء فلم تصح الصلاة ، فعلى الانسان أن لايتوضأ إلا بعد أن يقطع بأنه لا يتحلل من أحد المحلين شيء كما يراعى كل منا ان الله بنا رقيب فمن اعتنى بطاعته كما طلب منه قبلها منه وجازاه عليها أعظم الجزاء ومن تهاون فيها ردها عليه وعاقبه عليها فليجرب نفسه فى الاستبراء

يقول الله تعالى ذلك ومَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ

وقال نبينا تنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه

رؤى بعض العلماء بعد موته فى حالة حسنة فقيل له بم نلت ذلك فقال بقولى فى شأن الاستنجاء ويسترخى قليلا ويجيد هرك ذلك بيده حتى يتنظف — أى لأنه نبه الغافلين عما قد يتهاونون فيه فتبطل عباداتهم. كما يتحرز من أعقاب قدميه فمن ترك مقدار شعيرة بطل وضوءه فتكوى أعقابه بالنار يوم القيامة

لذا يقول نبينا ويل للاعقاب من النار

والعامة واقعون فى كل هذا — وقال عليه الصلاة والسلام من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها خرجت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى . ومن صلى صلاة لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها

ولا سجودها ولا خشوعها ترجعت وهي
سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني
حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما
يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه ويقال
له هذه صلاتك مردودة عليك كما قال الوضوء
سلاح المؤمن

يعنى أن الله يحفظ المتوضىء بوضوئه كما يحفظه بالسلاح فعلى المصلى أن يتم السجود والركوع والخشوع وهو الحضور بالقلب فى الصلاة . فالصلاة كغيرها تعرض على الله سبحانه فان استجمعت لشرائطها وأركانها قبلت وإلا ردت وهى تدعو له إذا أتمها وتدعو عليه إذا لم يتمها. وليحصر همه فى ملاحظة انه واقف بين يدى الله والا نقص ثوابها بنسبة غيبته وحضوره فان تدبر ما يقرأ وشغل نفسه بربه كل الصلاة فله الأجر كاملا وإلا كان له ربع ثوابها أو أقل أو أكثر بل قد يخرج منها ولا ثواب له فيها. ومما يؤسف أن المصلى يتعجل بدقيقة فتبطل صلاته. والدقيقة

لا تحصل له غرضا من أغراض الدنيا وإنما هي محاولات شيطانية لأنه لما لم يستطع منع المؤمن عن الصلاة جاءه من طريق خفي وهو استعجاله لأتفه الأسباب حتى يفسدها عليه أو يضيع عنه ثوابها من أجل أكلة تنتظره أو مجالسة أصحاب أو جلوس على قهوة مثلا فليتنبه لذلك

قال صلى الله عليه وسلم مَثَلُ الذي يَلْعَبُ النَّرْدَ ثُمَّ يَقُومُ يُصَلِّي مَثَلُ الذي يَتَوَضَّأُ بِالْقَيْحِ أَوْ دَمِ الْخِنْزِيرِ ثُمَّ يَقُومُ يُصَلِّي

النرد آلة لهو. والمراد أنه لا تقبل صلاته كما جاء في رواية

وقال خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ عز وجل مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَاتَهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ

كما قال الصلوات الخمس كفارة لما بينها ما اجتنبت الكبائر

المتأمل فى هذه الأحاديث يدرك أن للصلاة فضلا عظيما فمن قبول لها إذا صحت إلى مغفرة بعهد من الله ورضوان وطالما كرر الشارع هذه الشروط لتوقفها عليها خصوصا الخشوع وغير خاف أنها لا تستغرق من الزمن إلا اليسير مع أن أجرها كبير فلا تكاد تتجاوز أربع دقائق فى زماننا ومجموعها فى اليوم والليلة سبع عشرة ركعة تستغرق مثلها من الدقائق فجدير بنا أن نحصر همنا فيها حال ادائها فنحارب الشيطان إذا ما أراد أن يشغلنا فيها بغيرها وللاحظ انا إما ذاكرون الله فيها أو مناجون له ولا يصح أن نذكره أو نناجيه ونحن فى غفلة عنه

لذا قال سيدنا لا يزال الله مقبلا على العبد وهو فى صلاته فاذا التفت أعرض عنه وقال أعرض عنى عبدى - وقال الرياء

ثلاث وتسعون بابا أيسرها أن ينكح الرجل أمه

ومن الرياء أن يزيد المصلى فى صلاته إذا ما رآه الناس فقد أشرك المخلوق مع الخالق فى عبادته

وقال ان الرجلين من أمتى ليقومان الى الصلاة ويركعهما وسجودهما واحد وإن ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض — وأشار الى الخشوع

قال بعض الأفاضل الخشوع هو جمع الهمة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجرى على اللسان من القراءة والذكر

وقال عليه الصلاة والسلام إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا

قوله وأنتم تسعون أى تهرولون وتسرعون فما أدركتم مع

الإمام فصلوا وما فاتكم فأتموا . قال الشافعية : ما أدركه المأموم المسبوق فهو أول صلاته لأن الإتمام إنما يقع على باقي الشيء . وقال : الأحناف والمالكية هو آخر صلاته بدليل رواية فاقضوا بدل فأتموا فيجهر في الأخيرتين عندهما بخلاف الشافعية كما علمت . والنهي عن الإسراع إلى الصلاة لأنه يذهب الخشوع والسكينة

وقال مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ

وقال أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ كما قال لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ — وَرَأَى رَجُلًا يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ فقال لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هذا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ — سئلت

للسيدة عائشة عن الالتفات في الصلاة فقالت هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد — كما قال إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى فإن الرحمة تواجهه — وقال ليست صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ولقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم ثم آمر رجلا يؤم الناس ثم آخذ شعلا فأحرق على من لم يخرج إلى الصلاة بعد —

أي بعد الاذان والمراد منافقوا الاسلام وهم الكسالى وهو خارج مخرج الزجر تظاهره غير مراد

وقال والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أن يجد عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد

الْعِشَاءَ ـ (الْمرقاتان آلتا لَعِب . والْعَرْقُ عظم عليه لحم يعني لو كان لأحدهم طلبة من طعام أو آلة لهو لما هو حقير لما تخلف عن الصلاة والمراد أنه لو علم أنه إذا ذهب إلى الصلاة فوجد فى مكانها شيئاً من الطعام أو اللهو لما تأخر عنها

وقال لَأَنْ تَملأَ اذُنُ ابْنِ آدَمَ رَصاصاً مُذاباً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النِّدَاءَ ثُم لا يُجِيبُ

النداء هو الأذان وهو محمول على التشديد وعدم التهاون فى الذهاب الى الصلاة حين سماع الأذان خلافا للإمام أحمد فانه أوجب الذهاب إلى الصلاة عند سماعه

وقال أَطْوَلُ النَاسِ أَعْنَاقاً يَوْمَ القِيَامَةِ الْمُؤَذِّنُونَ وقال هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَا هُنَا فَوَاللهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ رُكُوعُكُمْ ولا سُجُودُكُم إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ خَلْفِي كَمَا أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي

وكان عليه الصلاة والسلام يرى بالليل كما يرى بالنهار . قيل كان له عينان بين كتفيه كسم الخياط يبصر بهما ولا تحجبهما الثياب

وقال صلى الله عليه وسلم صلاةُ الجَمْعِ تَفْضُلُ صلاةَ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وفى رواية بسبع وعشرين درجة - قيل منشأ هذا التفاوُتِ التَّفَاوُتُ فى الاخلاص وقيل الثانية محمولة على صلاةِ الفجر والعشاء - وقال لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما فى الصَّفِّ الاَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلا اَنْ يَسْتَهِمُوا عليه لاَسْتَهَمُوا ولوْ يَعْلَمُونَ مَا فى التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إليه ولو يعلمون ما فى العَتَمَةِ والصُّبْحِ لاَتَوهُمَا ولوْ حَبْوًا

العتمة هى العشاء وقوله لاستهموا عليه أى لاقترعوا عليه والتهجير : التكبير والمبادرة

وقال لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيْ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ

بقي أن أدراك الصف الأول المرغب فيه إنما يكون لمن بادر وأخذ مكانه فيه وأما ما يصنعه العامة من مزاحمتهم لأهل الصف الأول بعد استكماله فهو جهل وغفلة . عن أن ذلك مضايقة وإيذاء وهو حرام بل قد يؤدي إلى انحراف من يزاحمونه عن القبلة فتبطل صلاته عند الشافعية على الأخص لأن أقل انحراف مبطل عندهم

وقال صلى الله عليه وسلم صلوا خلف كل بار وفاجر

فسحة عظيمة وفضل من الله كبير فلولا ذلك لما صحت إمامة أحد فمن منا معصوم فلله المنة . نعم ينبغي اختيار الأمام فقد ورد

أئمتكم شفعاؤكم

ولا يشفع إلا الصالحون فاذا كان كذلك قبلت صلاته فتقبل صلاة من خلفه

قيل انه لما تيب على آدم عليه السلام عند الفجر صلى ركعتين فصارت الصبح وفدى بن ابراهيم عليهما السلام عند الظهر فصلى أربع ركعات فصارت الظهر وبعث عزير أى أحياه الله بعد موته عند العصر فصلى أربع ركعات فصارت العصر وغفر لداود عند المغرب فقام يصلى أربع ركعات فجهد فجلس فى الثالثة فصارت المغرب ثلاثا - وأول من صلى العشاء نبينا عليه الصلاة والسلام

لذا قال أعطيت بهذه الصلاة فانكم فضلتم بها على سائر الأمم ولم تصلها أمة قبلكم

فمجموع الصلوات الخمس من خصائص هذه الأمة كما خصت بالركوع فى الصلاة ولم يشرع لغيرها من الأمم فكانت صلاتهم بغير ركوع

ولهذا أمر الله بنى إسرائيل بالركوع مع نبينا حيث قال واركعوا مع الراكعين وقد أول المفسرون قوله تعالى لمريم واسجدى واركعى مع الراكعين بأن المراد من السجود الصلاة ومن الركوع الخضوع

فى الجمعـــة

أذن للنبى صلى الله عليه وسلم فى الجمعة قبل أن يهاجر فلم يستطع أن يصليها بمكة لتسلط قريش على المسجد الحرام فكتب إلى مصعب بن عمير أن يجمع بالمدينة فهو أول من جمع وقيل فرضت فى السنة الاولى من الهجرة

قال صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم — وقال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة أى مثله — ثم راح فى الساعة الأولى كان كمن قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا

أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ... (فالزمن ما بين الفجر الى الظهر يقسم أقساما خمسة)

وقال فى مفارقة الجماعة ستكون بعدى هنات وهنات من رأيتموه فارق الجماعة أو يريد تفرقة أمة محمد فاقتلوه فإن يد الله على الجماعة وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض

المراد من الهنات خصال الشر أى أنه سيظهر أهل الشر الذين يعملون على التفرقة فى أمة محمد سواء فى أمر الدين أو الدنيا فهو عام ويندرج فى مفهومه تعدد الجماعة فى وقت واحد ومسجد واحد فاشرع الله الاجتماع فى الصلوات الخمس وفى صلاة الجمعة وفى العيدين والحج إلا للتعارف الذى هو ثمرة الاجتماع ليتحقق التعاون لخيرى الدنيا والدين فهى مؤتمرات مصغرة فى الصلوات اليومية ونصف مكبرة فى الجمعة والعيدين ومكبرة فى الحج وهذه هى الحكمة من الاجتماع المشروع فمن عمل على التفرقة فقد

أضاع تلك الحكمة ومما يحزن كل مسلم أنه لم تراع هذه الحكمة في كل ما شرعت فيه ففات الغرض فلا حول ولا قوة إلا بالله

وعلى كل مسلم يهمه دينه أن يحتال في سبيل أداءه بكل حيلة كما يحتال في سبيل دنياه حتى لا يؤخر عبادة عن وقتها المحدد لها وقد لا نعدم حيلة فنأتي بالميسور فلم نكلف بالمتعسر

أمسى الوليد بصلاة الظهر والعصر أي أخرهما الى المساء فصلى بمجلسه عطاء إيماءا وهو جالس مخافة القتل ووقع أيضا منه ومن سعيد بن جبير بمجلس الوليد أيضا لأنه كان جبارا لا يجرأ أحد أن يقوم من مجلسه ففعل كل منهما الميسور ونحن الآن لم نفعل الميسور فضلا عن المعسور فنأخرها لأتفه الأسباب

قال الله تعالى يا بن آدم اذكرني ساعة بعد الصبح وساعة بعد العصر أكفك ما بينهما

وقال نبيه مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت — وقال من قعد مقعدا لا يذكر الله تعالى فيه إلا كان عليه

مِنَ اللهِ بِرَّةٌ وَمَنْ اضْطَجَعَ مُضْطَجَعاً لا يَذْكُرُ اللهَ فِيهِ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ - أَيْ مُؤَاخَذَةٌ وقال ما مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى لا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلاَّ وَجْهَهُ إِلاَّ نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ قُومُوا مَغْفُوراً لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ وفى حديث مطول يقول اللهُ لِمَلائِكَتِهِ أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فيقول ملك مِنْهُمْ - فِيهِمْ فُلانٌ خَطَّاءٌ لَيْسَ مِنْهُمْ وَإِنَّمَا مَرَّ لِحَاجَةٍ فَجَلَسَ - فَيَقُولُ وَلَهُ قَدْ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ

المراد من الذكر ما يشمل كل عبادة من صلاة وتلاوة قرآن وسماع علم وغير ذلك من تفكر واعتبار وعبادة على المختار

وقال جل شأنه إِنَّ بُيُوتٍ فى الأرض المساجد

وإنّ زُوّارِي فيها عُمّارُها فطُوبى لِمَنْ تطهّرَ في بيتِهِ وزارني في بيتي فحقٌّ على المزُورِ أنْ يُكرِمَ زائرَهُ

لم يكن فى عهد الرسول مطاهر أى (ميضآت)

وقال ﷺ جنّبُوا مساجدَكُمْ صبيانَكُمْ ومجانينَكُمْ وشراءَكُمْ وبيعَكُمْ وخصُوماتِكُمْ ورفعَ أصواتِكُمْ وإقامةَ حدُودِكُمْ وسلّ سيوفِكُمْ واتّخذُوا على أبوابِها المطاهرَ وجمّرُوها فى الجُمَعِ

المتأمل فى هذين الحديثين يشعر بأن للمساجد حرمة وأى حرمة فهى بيوت الله والبيت يشرف بشرف صاحبه ألا ترى إلى بيوت الملوك يدخلها الانسان فى وجل وارتعاد لانه يرى فيها عظمة مالكها وهل الأمر كذلك فى جانب بيوت الله . لا والله فرفع الاصوات فيها والخصومات قد تكون فوق مايقع فى الاسواق . وما درؤا أن ذلك سوء أدب وقلة إيمان وجهل

بمركز تلك المساجد التي خصها الله بنسبتها اليه تشريفا لها وإن كانت كل البيوت له سبحانه . وقوله وجروها أي جروها في أيام الجمع لأنها أعياد الاسابيع

وقال عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد — وقال من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عينه حتى يصبح كتب الله له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله — كما قال من بات طاهرا عرجت روحه فسجدت تحت العرش — وقال إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم

وقال سيدنا علي إذا مات العبد بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قال قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض

فالأماكن كالأزمان لها شعور بربها فتحب طاعته وتبغض عصيانه ولهذا ستكون شاهدة للطائع وعلى العاصي

جاء الفقراء الى رسول الله وقالوا ذهب أهل الدثور بالدرجات العلا والنعيم المقيم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون بها ويتصدقون فقال ألا أحدثكم بما إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدركم من بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيهم إلا من عمل مثله. تسبحون الله وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين

أصل دخول الظهر فى وقت العصر بقدر أربع ركعات عند المالكية قول النبى صلى الله عليه وسلم

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ صَلَّى بِي جِبْرِيلُ الظُّهْرَ حَيْثُ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ وَقَدْ صَلَّى بِي الْعَصْرَ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ حَيْثُ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ

فظهر اشتراكهما

قال صلى الله وسلم إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم وذا الحاجة

غير أنه يلاحظ أن الصلاة فى عهده كانت ذات طول وأما فى زماننا فقد خففنا فيها إلى حد أنها لو خففت عما هى عليه لبطلت

وقال إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم واشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن

لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف
أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون
من الزمهرير — كما قال نعم المذكر السبحة —
وقال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيها
درهم من حرام لم يقبل الله صلاته ما دام عليه

ولما شرع الأذان فكان عند ما يقول المؤذن أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يقول نصراني يسكن المدينة حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار . وهو وأهله نيام فطارت منها شرارة فأحرقت البيت بمن فيه

الباب الرابع

في الصيام

قال صلى الله عليه وسلم إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم ومن نظر

إِلَيْهِ لا يُعَذِّبُهُ وتُزَيِّنُ الْجَنَّةُ فِيهِ وخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ وتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الملائكةُ فِي كلِّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ حَتَّى يُفْطِرُوا وإِذا كانَ آخِرُ لَيْلَةٍ غُفِرَ لَهُمْ جَمِيعاً

والخلوف الرائحة . ومعنى كونه أطيب عند الله من ريح المسك أنه عنده أطيب من ريح المسك عندنا فيجازى عليه أحسن الجزاء . وقوله نظر اليهم أى نظر رحمة

وقال إِذَا دَخَلَ رمضانُ صُفِّدَتْ الشَّياطِينُ ومَرَدَةُ الْجِنِّ وغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النِّيرانِ وفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ونَادَى مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ ويَا بَاغِيَ الشَّرِّ اقْصِرْ ولِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ كُلَّ لَيْلَةٍ

يا باغى الخير أقبل فان بابه قد فتح بدخول رمضان فالخير فيه مطلوب أكثر من غيره لأنه شهر مبارك وهو أفضل

الشهور والعمل فيه مقبول ومضاعف الأجر . ويا طالب الشر ابتعد عنه فان رمضان ليس عملاً له وإلا ضوعف عليك العذاب فالانسان في عبادة طول يومه فاذا ما ارتكب فيه معصية فقد خلط الطاعة بالمعصية فضاع ثوابه . وهل تقبل أو ترد هذا متروك لله سبحانه

وقال الله كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ. الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. الصَّوْمُ جُنَّةٌ

أي ساتر من النار ولكونه صفة صمدانية اجتنب العبد فيها الشهوات فقد عما العبد بالصيام ناحية التخلق بصفة الله فالصمد هو من استغنى عن كل ما سواه واحتاج اليه كل من عداه

وقال مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ

أيمانا أي وتصديقا بوجوبه واحتسابا للأجر عند الله

وقال الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أي رب إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن رب منعته النوم فشفعني فيه فيشفعان

صحيح أنا تركنا طعامنا وشهواتنا بالنهار وهل تركنا فيه الغيبة والنميمة والكذب والغش والخيانة والحلف بالله باطلا وغير ذلك مما يعرفه الجميع. وهل صيامنا بهذه الحالة يرضي الله. ثم هل سهرنا بالقرآن بالليل. لا أيها المسلمون يامن ترجون من وراء الصيام غفرانا وجنة فعملنا هذا شبيه بخلط العسل بالخل فيفسده.

يقول ﷺ الخلق الحسن يذيب السيئات كما يذيب الشمس الجليد والخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل — وقال الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وإن امرأ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم

ففى هذا الحديث أيضا اشارة الى ما هو كالشرط فى صيانة الصيام مما يضيع ثوابه ويؤدى الى عدم قبوله فالرفث وهو التكلم بالفحش . والجهل وهو الغلظة والسفاهة . هل يبقى للصائم معهما ثواب يخشى أن يكون سخط وعذاب . يثور الصائم ويخرج عن طوره ويعذر نفسه كما يعذره الجهلة بأنه صائم فقابلوا الأوضاع واعتبروا المانع موجبا وفاتهم أن الصوم يهضم النفس ويكسر الشوكة ويميت الهمجية إذا ما علم العبد أنه فى عبادة كالصلاة يحتاط فيها مخافة فسادها ولكنه الشيطان عدو الانسان

ولهذا يقول الحكيم ﷺ رُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهْرُ وَرُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ — كما قال رُبَّ طَاعِمٍ شَاكِرٍ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ صَائِمٍ صَابِرٍ

فقد يحمله ما ساقه الله اليه من النعم على مواصلة الشكر وفعل البر . والفضل المتعدى للغير أعظم أجرا من القاصر على النفس وأما غير الشاكر فقد قال فى جانبه

سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام
ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب
ويتشدقون في الكلام أولئك شرار أمتي

وقال أفضلكم منزلة عند الله أطولكم
جوعا وتفكرا وأبغضكم إلى الله كل نؤام
أكول شروب

نوام أكول شروب . فقد استوى مع البهائم في ذلك
وفي انسانيته فضل عما خلق من أجله وهو طاعة ربه

قال صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس
ما في رمضان من الخير لتمنوا أن تكون
السنة كلها رمضان ولو أذن للسماوات والأرض
أن تتكلما لشهدتا بالجنة لمن صام رمضان وقال
رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل

صَلَّى وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ

رغم أي ذل وخاب من لم يجد منقذه وشفيعه بالصلاة عليه حين سماع اسمه الكريم وذل وخاب من لم ينتهز فرصة الشهر المبارك فلم يحصل الغفران بتوبة من معاصيه وشغله بالطاعة فيه وذل وخاب من لم يعمل على مرضاة والديه خصوصا في حال كبرهما وحاجتهما اليه فرضى الرب في مرضاتهما وغضبه في اغضابهما

وقال من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه

اي أنه إذا شهد الزور وعمل به لا يقبل الله صيامه وكان حظه من الصيام الجوع والعطش فلا ثواب له فيه

كما قال من صرف في نهار رمضان او زنى

أَوْ غَصَبَ أَوْ انْتَهَكَ حَرَامًا أَوْ شَرِبَ خَمْرًا أَوْ تَعَدَّى ظُلْمًا لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا وَلَعَنَهُ اللهُ وَمَلَائِكَتُهُ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ الْحَوْلِ

الصرف الزائد والعدل المثل و لمعنى انه لا يقبل منه قليلا ولا كثيرا . اعمل فكرك فى هذا الحديث لتعلم مبلغ عناية الشارع بالصيام وأنه يلزم خلوه من المنافيات لقبوله

وقال إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ عِنْدَ الْمِيزَانِ فَيُؤْتَى بِشَابٍّ مِنْ أُمَّتِي وَالْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَهُ وَجْهًا وَدُبُرًا فَيَعْلَقُ بِي وَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ الْمُسْتَغَاثُ بِكَ الْمُسْتَغَاثُ بِكَ فَأَقُولُ يَا مَلَائِكَةَ رَبِّي مَا ذَنْبُهُ فَيَقُولُونَ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَعَصَى اللهَ فِيهِ وَلَمْ يَتُبْ فَأَخَذَهُ اللهُ فَجْأَةً

فَأَقُولُ هَلْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَتَقُولُ تَعَلَّمْتُهُ
وَأُنْسِيتُهُ فَأَقُولُ بِئْسَ الشَّابُّ أَنْتَ بِئْسَ الشَّابِ
أَنْتَ فَلَا هُوَ يَتْرُكُنِي وَلَا الْمَلَائِكَةُ
يَتْرُكُونَهُ ثُمَّ أَشْفَعُ لَهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى فَأَقُولُ إِلَهِي
شَابٌّ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى إِنَّ لَهُ خَصْمًا
قَوِيًّا يَا أَحْمَدُ فَأَقُولُ وَمَنْ خَصْمُهُ يَا رَبِّ حَتَّى
أُرْضِيَهُ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى خَصْمُهُ شَهْرُ رَمَضَانَ
فَأَقُولُ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ خَصْمُهُ شَهْرُ رَمَضَانَ
وَمَنْ يَشْفَعُ لِمَنْ لَمْ يَعْرِفْ حُرْمَةَ شَهْرِ رَمَضَانَ
فَيَقُولُ اللهُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ أَنْتَ بَرِيءٌ مِنْهُ
فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى النَّارِ — وَقَالَ يُؤْتَى بِشَهْرِ
رَمَضَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالنَّاسُ فِي الْمَوْقِفِ فَيَقُولُونَ
مَنْ هَذَا نَبِيٌّ أَمْ رَسُولٌ أَمْ مَلَكٌ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ

هذا ولا مِثْلَ جَمالِهِ وحُسْنِهِ فَيَقُومُ بَيْنَ يَدَيْ
الْجَبّارِ جَلَّ جَلالُهُ فيقول مَنْ كانَ لَهُ حَقٌّ
قِبَلِي فَلْيَتَقَدَّمْ فيقولون مَنْ أنتَ فيقول أنا رَمَضانُ
قال صلى الله عليه وسلم فَتَقُومُ أُمَّتِي إلَيْهِ وبِيَدِهِ
قُضْبانٌ مِنْ نُورٍ تُضِيءُ بَيْنَ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ
فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى قَضِيباً يُضِيءُ لَهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ
وآخَرُ يُضِيءُ لَهُ مَسِيرَةَ جُمُعَةٍ وآخَرُ مَسِيرَةَ
يَوْمٍ وآخَرُ مَسِيرَةَ سَاعَةٍ وآخَرُ مَوْضِعَ
قَدَمَيْهِ فَمَنْ شاءَ فَلْيُوَقِّرْهُ ومَنْ شاءَ لا يُوَقِّرْهُ
فَيُسَامُ عَذاباً يَصِيبُهُ عِنْدَ الأنْوارِ مِنَ الْحَسْرَةِ
والنَّدامَةِ — جاء رجل إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه
وسلم فقال يارسول الله هَلَكْتُ فقال مالَكَ قال
وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وأنا صائِمٌ فقال هَلْ

تجد رقبة تعتقها قال لا . قال . فهل تستطيع صيام شهرين متتابعين قال لا . قال : فهل تجد طعام ستين مسكينا قال لا فمكث النبي . فبينما نحن على ذلك أتي النبي بعرق فيه تمر . قال أين السائل : فقال أنا : قال فخذ هذا فتصدق به فقال الرجل على أفقر مني يارسول الله فوالله ما بين لا يتيمها أفقر من أهل بيتي يارسول الله فضحك حتى بدت أنيابه ثم قال أطعمه أهلك

العرق هو المكتل وهو ما قد يقال له الكرز . والحرتان هي ما ارتفع من الأرض كالتل

وقال صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد الفطر بعث الله تعالى ملائكة فيقفون على

أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع الخلائق إلا الإنس والجن يا أمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يغفر الذنب العظيم فإذا برزوا إلى المصلى : يقول الله تعالى يا ملائكتي ما جزاء الأجير إذا عمل عمله فتقول الملائكة إلهنا وسيدنا جزاؤه أن يوفى أجره فيقول الله تعالى أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثواب صلاتهم وقيامهم رضائي ومغفرتي يا عبادي سلوني وعزتي وجلالي لا سألتموني عيوبكم ولا أفضحتكم إلا صرفا مغفورا لكم . ارضيتموني فرحيت نفسكم

وقال إذا كان ليلة النصف من شعبان

نُسِخَ لِمَلَكِ الْمَوْتِ كُلُّ مَنْ يَمُوتُ مِنْ شَعْبَانَ
إِلَى شَعْبَانَ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَفْرِشُ الْفَرْشَ
وَيَنْكِحُ الْأَزْوَاجَ وَيَبْنِي الْبِنَاءَ وَإِنَّ اسْمَهُ
قَدْ نُسِخَ فِي الْمَوْتَى وَمَا يَنْتَظِرُ بِهِ مَلَكُ
الْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِهِ فَيَقْبِضَهُ — خَرَجَ
رَسُولُ اللهِ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَضْحَكُونَ فَقَالَ
أَتَضْحَكُونَ وَقَدْ ذُكِرَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَنَزَلَ قَوْلُهُ
تَعَالَى نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ
عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ

أى أخبر كل من كان معترفا بعبوديتى من مطيع وعاص لأنى أنا الغفور الرحيم فعل ذلك على تغلب جانب الرحمة تقدمها فى الآية على العذاب

كما قال ﷺ إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا

ثمانية رحمة فأمسك منها عنده تسعة وتسعين
وأرسل فى خلقه رحمة فلو يعلم الكافر
بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من
الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله
من العذاب لم يأمن من النار

الرحمة واسعة جدا فلو اطلع الكافر عليها لظن انها لسعتها لا تفوته وينسى عندئذ أنه من الذين طردوا منها وإنه لا نصيب له فيها على سعتها . كما أن عذابه شديد وعظيم فلو اطلع المؤمن على كل هذا العذاب لم يأمن وقوعه فى النار

يقول السيد محمد عبد الرحيم

فبأي المفر فؤاد فرح وبأي عقاب فى سدم

لهذا كان المتقون دائما بين الخوف من العذاب والرجاء للثواب لعدم أمنهم من مكر الله . وأما غير المتقين فلجهلهم بما يجب أن يكون موقف العبد عليه فأمنوا مكر الله وانكبوا على

المعاصي وارتكنوا على سعة الغفران والرحمة وغفلوا عن قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون . وجاروا غير المؤمنين في قولهم سيغفر لنا كما غفلوا عن أنه توبيخ

الباب الخامس

في الزكاة

قال ﷺ من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة

الشجاع الأقرع ثعبان طال عمره حتى زال شعره وهو أخبث الحيات، والزبيبتان هما الريم الذى يكون على حافتى الشفتين من كثرة التلفظ تغيظا من مانع الزكاة لينتقم منه، والهمزتان هما العظمتان البارزتان فى اللحيه تحت الأذن

وقال حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ

فى الزكاة حفظ الأموال وفى الصدقة شفاء للمرضى كما هو صريح الحديث

وقال لا حَسَدَ إِلَّا فِى اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِى الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِى بِهَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ وَمَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ فِيهِ الْعِبَادُ إِلَّا وَمَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا

المراد بالحسد هنا الغبطة وهي أن يتمنى الانسان مثل نعمة الغير وهي ممدوحة شرعا . والحسد المعروف هو تمني زوال نعمة الغير عنه وهو كبيرة من الكبائر

وقال لتأتينكم بعدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب

أتت الدنيا كثيرا من الناس فاشتغلوا بها عن آخرتهم حتى انطمست منهم البصائر وتأكل أيمانهم وعبدوا قروشهم فلم تخطر لهم الآخرة على بال

مصداق ذلك ما أوحى الله به إلى الدنيا حيث قال

من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه

فمن خدم الله بالطاعة يسر له أموره وطمأن قلبه فرضي بنصيبه منها ومن خدم الدنيا زاغ بصره واضطرب قلبه فلا يهنأ له بال ولا يستقر له حال ولم يرضه ما حصل عليه منها والخوف من الفقر نصب عينيه ولو حيز له القصور والضياع

لهذا قال ﷺ النبي لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ما قل وكفى خير مما كثر وألهى كما قال حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الربيع البقل

الربيع هو المطر والبقل هو النبات فحب المال والشرف ينبت في نفس صاحبه النفاق بدرجة مكبرة كما ينبت المطر النبات وهو كثير كما لا يخفى، فحبه يحمل الشخص على زيادة النشاط في جمعه وقد لا يقنع بما يحصله بالطرق المشروعة فيعمد الى الحيل والمراوغة والمداهنة. ومثله حب الشرف وذلك عين النفاق

يقول ﷺ حبك الشيء يعمي ويصم

والحب للشرف ينافس أنداده ويحط من قدرهم بالوشاية بهم ليحتل على حسابهم. ونظرة فيما يجري في الدواوين والمصالح

تدلك على تخلص كثير من الناس من الفضائل وانباعهم الرذائل من دس ووقيعة

وقال على كل مسلم صدقة قالوا يا نبي الله فمن لم يجد قال يعمل بنفسه فينفع نفسه ويتصدق قالوا فإن لم يجد قال يعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فإن لم يجد قال فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنه له صدقة

قال ﷺ نعم المال الصالح للرجل الصالح

فالمال الصالح أى الحلال مبارك فيه فينفق منه على العيال وفى وجوه البر ولصلاحه فهو مأمون الجانب لا يحمله إلا حيث يحل ولما كان أفضل طرق الحلال الاحتراف

قال إن الله تعالى يحب العبد المحترف

فسيستغنى بذلك عن مد يده فلا يهدر كرامته ولا يصبح (عاله على الناس) فاليد العليا خير من السفلى كما جاء فى الحديث

وقال إن من فقه الرجل استصلاح معيشته وليس من حب الدنيا طلب ما يصلحك —

وقال ليس منا من وسع الله عليهم قتر على عياله — وقال دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي انفقته على أهلك — كما قال ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده — وقال شر الناس من أكل وحده وضرب عبده ومنع رفده أي عطاءه إلا لضرورة

وقال إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين فإنه ولي علاجه — أي طبخه وقال من أكل وذر

حِينَئِذٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ابْتَلَاهُ اللهُ بِدَاءٍ لَا دَوَاءَ لَهُ

فالخادم له نفس تتطلع إلى ما تقع عليه عينه فان لم يعط منه أفرغ سم عينيه فيه ووقع سيده فى ذلك الوعيد

وقال ﷺ فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ

معنى الفتنة فى الأهل أن يأتى من أجلهم بما لا يحل من قول أو فعل ، وفى المال أخذه من غير حله وصرفه فى غير مصرفه ، وفى الولد الاشتغال به عن الخيرات والاكتساب من أجله من وجوه غير مشروعة ، وفى الجار تمنى زوال نعمته أو إيذاءه أو التطلع إلى عوراته . ومعنى ذلك أيضا أنه يرجى أن يكفر الله بسببها ما قد فرط من أجلها وإلا فهى كبائر تحتاج إلى التوبة

وقال لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَيِّئُ الْمَلَكَةِ —

أى ما يملكه من خدم وحيوان

وقال صنائع المعروف تقى مصارع السوء والصدقة خفيا تطفىء غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة وأول من يدخل الجنة هم أهل المعروف

ذلك لأنهم أزالوا كرباً عن المكروبين فى الدنيا فأزال الله عنهم كرب الآخرة . وأدخلهم الجنة

وقال إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسطة الوجه وحسن الخلق — وقال يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة وكل تسبيحة صدقة

وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وتحميدة صدقة ويجزأ أحدكم عن ذلك كله ركعتان يركعهما من الضحى

السلامى جزء من عظام الشخص ويجزعها فيه ٣٦٠ جزءاً فيتصدق عليها شكراً لله حيث صوره وحفظه مما يؤذيه كما حفظها له طول حياته

وقال تبسمك في وجه أخيك صدقة لك وأمرك بالمعروف وإرشادك الرجل في أرض الفلاة صدقة لك وإماطتك الأذى عن الطريق والكلمة الطيبة صدقة لك

قال صلى الله عليه وسلم إن الصدقة تطفىء عن أهلها حر القبور وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته — وقال إن لله

عِبَادًا إِخْتَصَّهُمْ بِحَوَائِجِ النَّاسِ يَفْزَعُونَ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ أُولَئِكَ هُمُ الْآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ — وقال مَا عَظُمَتْ نِعْمَةٌ عَلَى عَبْدٍ إِلَّا عَظُمَتْ مَؤُونَةُ النَّاسِ عَلَيْهِ فَمَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ مَؤُونَةَ النَّاسِ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ

وقال أَحْسِنُوا جِوَارَ نِعَمِ اللهِ فَقَلَّمَا زَالَتْ نِعْمَةٌ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ

نعم الله جارات لنا فالولد نعمة والمال نعمة والصحة والسمع والبصر والعقل وغيرها مما لايحصى جارات ومطلوب الاحسان إلى الجار والا رحل وترك تلك الجيرة التى أسيىء إليه فيها ومن عادة الله إذا ماسلب عن قوم نعمة فقليل أن يعيدها إليهم وسلبها إنما يكون عن استعمالها فيما يغضبه

وقال اطْلُبُوا الْحَوَائِجَ بِعِزَّةِ الْأَنْفُسِ فَإِنَّ

الأمور تجرى بالمقادير — كما قال سلوا الله ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم وفى رواية فليفرغ ذلك الخير على وجهه — وقال أتحب أن يلين قلبك وتقضى حاجتك امسح رأس اليتيم وتصدق عليه — وقال الدنيا جيفة وطلابها كلاب

والجيفة لا يقدم عليها إلا الكلاب والمراد طلبها لذاتها وأما طلبها للاستغناء عن الخلق وإطعام الأهل فهو ممدوح كما مر عليك

نهى رسول الله ﷺ عن النذر وقال إنه لا يأتى بخير وإنما يستخرج به من مال البخيل — وقال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فى معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا

لا يُطيقُهُ فكفارتُهُ كفارةُ يمينٍ ومَنْ نذرَ نذراً
فأطاقَهُ فليفِ بهِ ـ وقال تهادُوا تحابُّوا

وقال لو كانتْ الدُّنيا تزنُ عندَ اللهِ جناحَ
بعوضةٍ ما سقى الكافرَ منها جرعةَ ماءٍ

فلحقارتها أعطاها للحقير وادخر الجنة لاحبابه المؤمنين

وقال إنَّ عبداً أغنيتُهُ عن ثلاثٍ لقدْ
أتممتُ عليهِ نعمتي عن سلطانٍ يأتيهِ وطبيبٍ
يداويهِ وعن مالٍ يأتيهِ ـ وقال إذا
تشاءمتُمْ فامضُوا وعلى اللهِ فتوكَّلُوا ـ وقال الدُّنيا
سجنُ المؤمنِ وجنَّةُ الكافرِ ـ وقال مَنْ
لمْ يسألْ اللهَ يغضبْ ـ وقال مَنْ سألَ الناسَ
الصدقةَ وهوَ عنها غنيٌّ فإنَّما يستدعي رضاعَ في
الرأسِ ورضاً في البطنِ ـ وقال مَنْ نفَّسَ عنْ

مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ
عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ
عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ
وَاللهُ فِى عَوْنِ الْعَبْدِ مَادَامَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ
أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا
سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ
فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ
وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ
السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ
وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ
عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ — وقال خَصْلَتَانِ
لَا يَجْتَمِعَانِ فِى مُسْلِمٍ الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ
وقال لَا تُدْخِلْ يَدَكَ فِى فَمِ التِّنِّينِ حَتَّى

تَصِلَ إِلَى الْمَنْكِبِ فَبَعْضُهَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَسْأَلَ مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ وَإِنْ

(الثنيين هو الكعبان) - وقال لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي وَأَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّ إِسْبَالَ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ وَلَا يُحِبُّهَا اللَّهُ وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ أَوْ عَيَّرَكَ بِأَمْرٍ لَيْسَ هُوَ فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِأَمْرٍ هُوَ فِيهِ وَدَعْهُ يَكُونُ وَبَالُهُ عَلَيْهِ وَأَجْرُهُ لَكَ وَلَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا

إسبال الإزار معناه إطالة الثوب ، ولا يفعل ذلك إلا أهل الكبر فقوله من المخيلة أي الكبر ولا يحبها الله أي يعاقب عليها

وقال ﷺ يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَعْتَذِرُ

الله إليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف فمن أطعمك فيّ أو كساك فيّ فريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك. والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر فيمن فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة

قال الله تعالى يا ابن آدم تؤتى كل يوم برزقك وأنت تحزن وينقص كل يوم من عمرك وأنت تفرح أنت فيما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع — اشارة إلى قوله تعالى كلا إن الانسان

ليتطفى أن رآه استغنى وقال من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظيم من النار — وقال من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجزام والافلاس — وقال ﷺ من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ وقد برئت ذمة الله منه

قد أخذ الله العهد على نفسه أن يكرم من امتثل أمره والمحتكر قد خالف أمره ونقض عهده فلا ذمة لله وإنما هو كناية عن تخلص الله منه

وقال أيما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء

قال بن العربى إنما ذكر الله سبحانه أنه يأخذ الصدقات لنبيه المتصدق فيعطى الفقير الأشياء النفيسة وذلك أن المنادى ينادى يوم القيامة أين ما أعطى لله فيؤتى بالكسر اليابسة والفلوس أى الفلية الحقيرة والثياب الخامة القديمة ثم ينادى أين ما أعطى لغير الله فيؤتى بالأموال الجسام والأطعمة النفيسة فيذوب الناس من الخجل

وقال ﷺ لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى لَيُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَمَّاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ - وقال مَا مِنْ ذِى رَحِمٍ يَأْتِى ذُو رَحِمِهِ إِلَيْهِ فَيَسْأَلُهُ فَضْلاً أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ فَيَبْخَلُ عَلَيْهِ إِلاَّ أَخْرَجَ اللهُ مِنْ جَهَنَّمَ حَيَّةً يُقَالُ لَهَا شُجَاعٌ تَتَلَمَّظُ فَتُطَوَّقُ بِهِ

وقال أَكْثِرُوا مَعْرِفَةَ الْفُقَرَاءِ وَاتَّخِذُوا

عِنْدَهُمُ الأَيَادِي فَإِنَّ لَهُمْ دَوْلَةً قَالُوا وَمَا دَوْلَتُهُمْ قَالَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قِيلَ لَهُمْ أَنْظِرُوا مَنْ أَطْعَمَكُمْ كِسْرَةً أَوْ سَقَاكُمْ شَرْبَةً أَوْ كَسَاكُمْ ثَوْبًا فَخُذُوا بِيَدِهِ فَامْضُوا بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ — وَقَالَ إِذَا أَبْغَضَ النَّاسُ فُقَرَاءَهُمْ وَأَظْهَرُوا عِمَارَةَ الدُّنْيَا وَتَكَالَبُوا عَلَى جَمْعِ الدَّرَاهِمِ رَمَاهُمُ اللَّهُ بِأَرْبَعِ خِصَالٍ الْقَحْطِ مِنَ الزَّمَانِ وَالْجَوْرِ مِنَ السُّلْطَانِ وَالْخِيَانَةِ مِنْ وُلَاةِ الْأَحْكَامِ وَالشَّوْكَةِ مِنَ الْأَعْدَاءِ — هذا لا يحتاج إلى شرح فقد شرحه الجاري

ولكن من هم الفقراء الذين لهم تلك الدولة . والكرامة هم الذين يقول الله فيهم يوم القيامة

أَيْنَ صَفْوَتِي مِنْ خَلْقِي فتقول الملائكة ومنهم يَا رَبَّنَا فَيَقُولُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْقَانِعُونَ بِعَطَائِي

الرَّاضُونَ بِقَدَرِي أَدْخِلُوهُمُ الجَنَّةَ فَيَدْخُلُونَ وَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ والنَّاسُ فِي الحِسَابِ يَتَرَدَّدُونَ

هؤلاء هم الفقراء المعنيون بالوارد في الفقراء . وهل فقراء زماننا تنطبق عليهم هذا الجواب عندك أيها القارئ .

وقال للسَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ والبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللهِ بَعِيدٌ مِنَ الجَنَّةِ بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ وقال الجَاهِلُ السَّخِيُّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ العَابِدِ البَخِيلِ — وجاء في الحديث القدسي يا ابْنَ آدَمَ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا لَكَ لَمْ يَكُنْ لَكَ مِنْهَا إِلَّا القُوتُ وإِذَا أَنَا أَعْطَيْتُكَ مِنْهَا القُوتَ وَجَعَلْتُ حِسَابَهَا عَلَى غَيْرِكَ فَأَنَا إِلَيْكَ مُحْسِنٌ

وقال ﷺ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ

جَوَّاظٍ صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ جِيفَةٍ بِاللَّيْلِ بَطَّالٍ
بِالنَّهَارِ تَمَالِيمَ بِأُمُورِ الدُّنْيَا جَاهِلٍ بِأُمُورِ الْآخِرَةِ
وَأَهْلُ الْجَنَّةِ الضُّعَفَاءُ الْمُقِلُّونَ

الجعظرى هو المتكبر هو الذى ينتفخ بما ليس عنده . الجواظ الجموع للمال المنوع من الانفاق فى الخير الصخاب الذى يرفع صوته فى الأسواق جيفة بالليل . أى يلقى بجسمه على فراشه لا تهمه طاعة ربه — بطال بالنهار أى يشغل نفسه بالشهوات ويسعى فى الفساد والأفساد — عالم بأمور الدنيا أى أتقن سبل الحصول عليها وقد جهل أمر الآخرة فلم يعمل على إسعاد نفسه فيها ؛ وقد مر عليك بيت من الشعر هو

فَطِنٌ بِكُلِّ بَلِيَّةٍ فِي مَالِهِ
فَإِذَا أُصِيبَ بِدِينِهِ لَا يَشْعُرُ

وقال لَيْسَ خَيْرُكُمْ مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَلَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ بَلْ خَيْرُكُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ

هذه وهذه — وقال إن العفو لا يزيد العبد
إلا عزا فاعفوا يعزكم الله وإن التواضع
لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم
الله وإن الصدقة لا تزيد المال إلا غناه
فتصدقوا يزدكم الله — وقال إن الله ليسأل
العبد عن جاهه كما يسأله عن ماله فيقول
له جعلت لك جاها فهل نصرت به مظلوما
أو أقمت به ظالما أو أغثت به مكروبا

قد تبدل الحال واستعمل الجاه فى ظلم الضعيف وسلب حقوقه وخدش الأعراض، فبدل أن يدفع بالجاه ظلم جلب به مظالم

قال ﷺ لا يدخل الجنة إلا رحيم قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس رحمة

أحدكم لنفسه وأهل بيته إنما الرحمة أن يرحم الناس — وقال الراحمون يرحمهم الرحمان . ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء — كما قال لا تنزع الرحمة إلا من شقي

وقال ما من نفس منفوسة إلا كتب الله مدخلها من جنة أو نار . فقال قائل يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال إعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فإنه ميسر لعمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فإنه ميسر لعمل أهل الشقاوة — ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل

واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى -
وقال أكرموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر

فما أقسى الذل بعد العز والفقر بعد الغنى .. لهذا أمرنا الرسول باحترامهما رحمة بهما وتخفيفا لوطأة ما أصابهما

الباب السادس

فى الحج

قال ﷺ مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ

الرفث هو التكلم بالفحش وهو البذىء من الكلام كالشتم والسب وغيرهما ، والفسق هو الخروج عن طريق الحق الذي جاء به الدين فالمشرع يحذرنا من ارتكاب كل ما من شأنه أن يغضب الله سبحانه أثناء أداء الحج مما قد يؤدى إلى عدم قبول الحج من منافيات الثواب وموجبات العقاب والتي لا يترتب

عليها ثمار الحج من رحمـــة وغفران حتى يصبح مبرورا وحتى يتحقق في الحاج مضمون الحديث

الحجُّ المبرورُ ليسَ لهُ جزاءٌ إلاَّ الجنَّةُ

وجاء في الحديث أيضا

أفضلُ الحجِّ العجُّ والثجُّ

فالعج هو رفع الصوت بالتلبية ، والثج صب دماء الهدي بذبح أبل أو بقر أو غنم تترتب على نقص واجب من واجبات الحج أو كان تطوعا لمواساة فقراء أهل الحجاز

وقال تابعوا بينَ الحجِّ والعمرةِ فإنهما ينفيانِ الفقرَ كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديدِ والذهبِ والفضةِ وليسَ لحجةٍ مبرورةٍ ثوابٌ إلاَّ الجنةَ وما من مؤمنٍ يظلُّ محرماً إلاَّ غابتْ الشمسُ بذنوبِهِ

حجة المبرورة بالعباد هي حجة الفريضة وهي الأولى

وأما الثانية والثالثة وما زاد فهي مندوبات عن . بن عمر رضي الله عنهما قال : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاسلام مرة واحدة هي حجة الوداع واعتمر اربعا إحداها مع هذه الحجة

دعا رسول الله ﷺ عشية عرفة بالمغفرة والرحمة لأمته وأكثر من دعائه فأجيب له إنّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ مَا خَلاَ الظَّالِمَ فَإِنِّي آخُذُ لِلْمَظْلُومِ مِنْهُ فقال أيْ رَبِّ إنْ شِئْتَ أَعْطَيْتَ الْمَظْلُومَ مِنَ الْجَنَّةِ وغَفَرْتَ لِلظَّالِمِ فَلَمْ يُجَبْ عَشِيَّتَهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ بِالْمُزْدَلِفَةِ أَعَادَ الدُّعَاءَ فَأُجِيبَ إلى مَا طَلَبَ فَضَحِكَ صلى الله عليه وسلم . فقال ابو بكر : فما الذي أضحكك أضحك الله سنك ؟ فقال : إنّ عَدُوَّ الله إبْلِيسَ لَمَّا عَلِمَ أن اللهَ استَجَابَ دُعَائِي وَغَفَرَ لأُمَّتِي أَخَذَ التُّرَابَ وَجَعَلَ يَحْثُوهُ عَلَى

رَأْسِهِ وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ فَأَعْجَبَنِي
مَا رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ

قيل هو خاص بالحجاج وقيل هو عام فيهم وفى غيرهم

وقال مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي

كما قال مَنْ زَارَنِي فِي قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي

وقال أَنَا لَكُمْ مِثْلَ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ

وقال لَا يَسْمَعُ بِي يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ
فَلَا يُؤْمِنُ بِي إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ

ذلك لأن رسالته عامة لكل من على وجه الأرض من انس وجن فمن آمن به فهو من أمة الدعوة والإجابة ومن لم يؤمن به فهو من أمة الدعوة فقط ودخل فى ذلك اليهود والنصارى والمجوس والمشركون . فاتباعه واجب على الكل وقاطع لاتباع أى نبى سواه

كقول الله سبحانه وما أرسلناك إلا كافة للناس

فمن آمن به سعد ومن لم يؤمن شقي . ولذا كان نزول عيسى عليه السلام نائبا عنه منفذا لشريعته

ومن أجل هـــذا قال عليه الصلاة والسلام ينزل عيسى بن مريم خليفة على أمتي يدق الصليب ويقتل الخنزير ويلبث أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى . وكيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي في وسطها — وقال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي

وكنيته صلى الله عليه وسلم ابو القاسم فلا يجوز أن يكنى بهـــا أحد

قال ﷺ إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم مائة مرة

أى يغطى ويغشى . والمراد السهو . وكم نستغفر نحن فى اليوم

وقال يا عمرُ أتدرى من أنا . . أنا الذى خلقَ اللهُ تعالي أوّلَ كلّ شئ نورى فسجدَ لهُ فبقى فى سجودِهِ سبعمائةَ عامٍ فأوّلُ شئ سجدَ لهُ نورى ولا فخرَ . يا عمرُ أتدرى من أنا . أنا الذى خلقَ اللهُ العرشَ من نورى والكرسيّ من نورى واللوحَ والقلمَ من نورى . والشمسَ والقمرَ من نورى ونورُ الأبصارِ من نورى ونورُ العقلِ الذى فى رؤوسِ الخلقِ من نورى ونورُ المعرفةِ التى فى قلوبِ المؤمنينَ من نورى . ولا فخرَ

وورد انه ما وقعت عبادة بين صلاتين عليه صلى الله عليه وسلم إلا وقبلها الله تعالى من أجل توسطها بين صلاتين

مقبولتين لأن الله سبحانه قد تفضل فقبل كل صلاة على النبي من غير شرط بخلاف العبادة ففيها شروط إن توافرت قبلت وإلا ردت

وقال لجبريل عليهما الصلاة والسلام كم عمرك يا جبريل . قال : لا أدري يا رسول الله غير أني أرى نجما يطلع في الحجاب الرابع كل سبعين ألف سنة مرة وقد رأيته سبعين ألف مرة فقال النبي أنا ذلك النجم — وقال ما تزوجت من نسائي شيئا ولا زوجت شيئا من بناتي إلا بوحي جاء به جبريل . وقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أعذب أحدا يسمى باسمك في النار وقال عليه الصلاة والسلام يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيتأمر بهما إلى الجنة فيقولان ربنا

ثم استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا نجازينا به الجنة فيقول الله تعالى اذهبا إلى الجنة فإني آليت على نفسي أن لا أدخل النار من اسمه أحمد أو محمد (قوله آليت أي حلفت) ـ وورد أن أبا جهل قال هل يعفر محمد وجهه بالتراب بين أظهركم [أي يسجد على الأرض] قالوا نعم. قال واللات والعزى لئن رأيته يفعل لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه بالتراب ثم إنه أتى النبي وهو يصلي ليطأ على رقبته فما فاجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له مالك قال إن بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة فقال صلى الله عليه وسلم لو دنا لاختطفته الملائكة عضوا عضوا ـ محفوظ أنت يا سيد

الخلق ومرعي برعاية الله : أليس الله قد قال والله يعصمك من الناس - دعا ﷺ بخفيه فلبس إحداهما فجاء غراب فاختطف الأخرى ثم رمى بها فخرج منها حية فقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما

أتى أعمى إلى رسول ﷺ فقال يا رسول الله إني أصبت في بصري فادع الله لي : فقال له توضأ وصل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد يا محمد أستشفع بك في رد بصري اللهم شفع النبي في وقال إن كان لك حاجة فمثل ذلك فرد الله بصره

وقال إنّ لِلّهِ مَلائِكَةً سَيّاحِينَ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السلامَ

واستشار أصحابه فى شأن السيدة عائشة فى حادثة الأفك فقال عمر رضى الله عنه أنا قاطع بكذب المنافقين لأن الله عصمك من وقوع الذباب على جسدك لأنه يقع على النجاسات فيتلطخ بها ، فلما عصمك الله من هذا القذر فكيف لا يعصمك من صحبة من تكون متلطخة بمثل هذه الفاحشة - وقال عثمان رضى الله عنه ان الله ما أوقع ظلك على الأرض لئلا يضع إنسان قدمه على ظلك ، فلما لم يمكن أحدا من وضع القدم على ظلك فكيف يمكن أحدا من تلويث عرض زوجتك - وقال على كرم الله وجهه ان جبريل أخبرك ان على نعليك قذرا وأمرك باخراج النعل من رجلك بسبب ما التصق به من القذر فكيف لا يأمرك بأخراجها بتقدير أن تكون متلطخة بشىء من الفواحش

وقال ﷺ حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلاثٌ النِّسَاءُ

والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة

وقال ابو بكر : وانا يارسول الله حبب الى من الدنيا النظر إلى وجهك وجمع المال للانفاق عليك - وقال عمر وأنا حبب إلي من الدنيا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقيام بأمر الله - وقال عثمان وأناحبب إلي من الدنيا إشباع الجائع وإرواء الظمآن وكسوة العارى - وقال على وأنا حبب إلي من الدنيا الصوم فى الصيف واقراء الضيف والضرب بين يديك بالسيف

ابو بكر من بنى تميم ، وعمر من بنى عدي ، وعثمان من بنى أمية، وعلى من بنى هاشم رضى الله عنهم - وقال كعب الصيد في جوف الفرى مخاطبا أباسفيان بن الحارث بن عمه حين جاء مسلما مهاجرا بعد شديد عداوة ، أى أنت أكرم من يأتينى فكلهم دونك

ولما نزلت سورة تبت يدا أبي لهب إلى آخرها . فيه وفى زوجته أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان استدعى ابولهب ولديه عتبة وعتيبة وكانا قد تزوجا ببنتى رسول الله السيدة رقية والسيدة أم كلثوم . فقال لولده عتبة : رأسى من رأسك حرام

إن لم تفارق بنت محمد ففارقها غير أنه سبقت له السعادة فأسلم عام الفتح رضى الله عنه ، وأما عتيبة فقال لآتين محمدا فلأوذينه فى ربه وكان عتيبة هذا قد اعتزم السفر إلى الشام مع أبيه فى تجارة فأتاه وقال له يا محمد أنا كافر (برب النجم إذا هوى و بالذي دنا فتدلى ، طلق ابنته ورد عليه دينه وبصق جهته فقال صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا كلابك فوجم أبو طالب وكان حاضرا فقال ما أغناك عن هذه الدعوة يا ابن أخى فرجع عتيبة إلى أبيه وأخبره . ثم خرجا إلى الشام فى جماعة فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير وقال لهم ان هذه الأرض مسبعة فقال أبو لهب لقومه انكم تعرفون نسبى ورحمى فقالوا أجل يا أبا لهب . فقال : أعينونا هذه الليلة فانى أخاف على ابنى دعوة محمد فاجمعوا متاعكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا حوله ففعلوا ثم جمعوا إبلهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتيبة فجاء الأسد يتشمم وجوههم

وحين رآه قال والله انه ليقصدنى ، فضربه الأسد ففصل رأسه وهو يقول ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس لهجة . فقال

أبو لهب والله ما كان ليفلت من دعوة محمد

وأما امرأة أبي لهب فقد جاءت وبها ولولة وبيدها فهر أي حجر فيه طول يدق به في الهاون

جاءت إلى رسول الله ومعه أبو بكر فلما رآها قال يارسول الله إنها امرأة بذيئة فلو قمت فقال صلى الله عليه وسلم انها لن تراني. فجاءت فقالت يا أبا بكر صاحبك هجاني ظنا منها أن السورة من كلام النبي فقال أبو بكر لا ورب الكعبة ما هجاك. فقالت أنت عندي لصادق وانصرفت. قال أبو بكر قلت يارسول الله لم لم ترك فقال لم يزل ملك يسترني بجناحه قل لها هل ترين عندي أحدا فقالت أنهزأ بي والله ما رأيت عندك أحدا (انظر إلى كلام البوصيري في هذا الموضوع)

ثم ذهبت إلى أخيها أبي سفيان في بيته وهي غضبي فقالت له : ويحك يا أحمس تعني ياشجاع أما تغضب أن هجاني محمد. فقال: سأكفيكه إياه ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد فقالت : هل قتلته؟ فقال : لا والله يا أخية أيسرك ان رأس أخيك في فم ثعبان. قالت لا والله. قال فقد كان يكون ذلك الساعة فاني رأيت ثعبانا لو قربت منه لالتقم رأسي

قال ﷺ أتاني آتٍ من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيئاً

ورد أنه بينما كان رسول الله في الطواف حول الكعبة إذ به يسمع أعرابيا يقول ياكريم فقال يا كريم فمضى الأعرابي في جهة الركن اليماني وقال يا كريم فقال النبي يا كريم فمضى إلى جهة الميزاب وقال ياكريم فقال النبي يا كريم فالتفت الأعرابي وقال ياصبيح الوجه ويارشيق القد لولا صباحة وجهك ورشاقة قدك لشكوتك الى حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم فتبسم وقال أما تعرف نبيك يا أخا العرب : فقال لا . قال فما إيمانك به فقال : آمنت بنبوته ولم أره وصدقت برسالته ولم ألقه . فقال: إني نبيك في الدنيا شفيعك في الآخرة فأقبل الأعرابي يقبل قدمي النبي فقال صلى الله عليه وسلم مهْ يا أخا العرب لا تفعل بي كما تفعل الأعاجم بملوكها

فان الله بعثني لا متكبرا ولا متجبرا بل بعثني بالحق بشيرا ونذيرا فهبط جبريل على النبي وقال يا محمد . السلام يقرئك السلام ويقول لك قل للأعرابي لا يغرنه كرمنا ولا حلمنا فعندنا نحاسبه على القليل والكثير والفتيل والقطمير . فقال الأعرابي او يحاسبني ربي ؟ قال نعم ان شـــاء . فقال الأعرابي : إن حاسبني لأحاسبنه . فقال النبي : على ماذا تحاسب ربك يا أخا العرب ؟ فقال إن حاسبني ربي على ذنبي حاسبته على مغفرته وإن حاسبني على معصيتي حاسبته على عفوه وإن حاسبني على بخلي حاسبته على كرمه ، فبكى النبي حتى ابتلت لحيته . فهبط جبريل وقال يا محمد السلام يقرئك السلام . ويقول لك :

قُلْ لَهُ مِنْ بُكَائِكَ فَقَدْ أَلْهَيْتَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ عَنْ صَنِيعِهِمْ قُلْ لِأَخِيكَ الْأَعْرَابِيِّ لَا يُحَاسِبُنَا وَلَا نُحَاسِبُهُ فَإِنَّهُ رَفِيقُكَ فِي الْجَنَّةِ

ألهيت حملة العرش عن صنيعهم أي شغلهم بكاؤك إشفاقا عليك عن شغلهم بالله

قال ﷺ نحن معاشر الأنبياء بكاء

أى قليلوا الكلام . جمع بكيء

وقال أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة — وقال أدبوا أولادكم على ثلاث خصال . على حب نبيكم وحب أهل بيته وعلى قراءة القرآن — وقال والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار

وروى أن بنت أبى لهب ابنة عم الرسول قدمت المدينة مسلمة مهاجرة فقيل لها لا تغنى عنك هجرتك . أنت بنت حطب النار فذكر ذلك للنبى فاشتد غضبه ثم قال على منبره

ما بال أقوام يؤذونني فى نسبى وذوى رحمى . ألا من آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله — اى أغضبه

وقال مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ محمد مات شهيداً ألا ومن مات على حُبِّ آلِ محمد مات مغفوراً له ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً . ألا ومن مات على حب ال محمد مات بشّرهُ ملكُ الموت بالجنة ومنكر ونكير ألا ومنْ مات عَلَى حب آل محمد زُفَّ إلى الجنة كما تُزَفُّ العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب آل محمد فُتِحَ فى قبرِهِ بابانِ الى الْجَنةِ الا ومن مات على حب آل محمد جعلَ اللهُ قبرَهُ مَزارَ ملائكةِ الرّحمةِ . الا ومن مات على حب ال محمد مات على السُّنّةِ والْجَمَاعَةِ الا ومن مات على بُغْضِ آلِ محمد جاء يومَ القيامةِ مكتوباً بين عينيهِ آيسٌ من رحمةِ اللهِ .

الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا .
الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة — وقال فى حديث فبحبى أحبهم وببغضى أبغضهم

وهذا يفسر لك تلك الكرامة التى للمحبين لهم والشقاوة التى للمبغضين لهم حيث أن حبهم من حبه وبغضهم من بغضه فليس بالكثير كرامة أهل القسم الأول ولا شقاوة أهل القسم الثانى

وقال إن الله وكل ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلى على إلا قالا ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين

ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على إلا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك و قال الله

وملائكته جواباً لذينك الملكين آمين

معنى أمين فى جانب الملائكة استجب يارب وفى جانب الله سبحانه استجبتُ

وقال لو كان مُوسَى وعِيسَى حَيَّيْنِ لَمَا وَسِعَهُمَا إلاَّ الإِيمَانُ بِي

وفى الخبر إذا خَفَّتْ حَسَنَاتُ المُؤْمِنِ أخْرَجَ رسول اللهِ ﷺ بِطَاقَةً كَالأُنْمُلَةِ فَيُلْقِيهَا فى كِفَّةِ المِيزَانِ الَّتِي فِيهَا الحسناتُ فترْجَحُ الحَسَنَاتُ فيقول ذلك العَبْدُ المؤمنُ للنبي بِأَبِي أنْتَ وأُمِّي ما أحْسَنَ وَجْهَكَ وما أحْسَنَ خُلُقَكَ فمَنْ أنْتَ فيقول أنا نَبِيُّكَ محمد وهذه صَلاتُكَ عَلَيَّ وقد وفَّيْتُكَ إيَّاهَا أحْوَجَ ما تكون

فبصلاة العبد مرة يرحمه الله عشر رحمات ومن صلى عشر

مرات رحمه الله مائة رحمة ومن صلى مائة مرة رحمه الله الف رحمة. ومن صلى ألف مرة أبعده الله عن النار وأنت تعلم أن ذنوبنا كثيرة فيسلط الله عليها بالصلاة على النبي رحمة فرحمة حتى إذا ما أتم ألفا تمت عليه رحمة الله وغفر له كل ذنوبه وأدخله جنته فلماذا غفلتنا هذه عن اغتنام فرصة الصلاة عليه، إذا كان هذا ثمنها . . قال زيد بن سعنة أجل أحبار اليهود كنت الطف لرسول الله لأن أخالطه لأعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمرا (اى اشتريت) إلى أجل فلما كان قبل الأجل بيومين أتيته فأخذت بمجامع قميصه ورداءه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تقضيني حقي يامحمد فوالله انكم يابني عبد المطلب لمطل فقال عمر : أي عدو الله أتقول لرسول الله ما أسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك ورسول الله ينظر الى عمر في سكون وتؤدة وتبسم

ثُمَّ قال انا وَهُوَ كُنَّا احْوَج إلى غير ذلك مِنْك يا عمر انْ تأمرني بحسن الأداء وانْ تأمره بحسن

الشَّبَاعَةِ إِذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا لِمَا رَوَّعْتَهُ فَفَعَلْتُ إِنِّي لَأَعْرِفُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أُخْبِرْهُمَا يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ وَلَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَاهِلِ إِلَّا حِلْمًا فَقَدْ خَبَرْتُهُمَا فَأُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا — فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ — جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَقَالَ إِنِّي مَجْهُودٌ فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا الْمَاءُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَاقِيهِنَّ فَكُلُّ هَذَا جَوَابُهُنَّ فَقَالَ مَنْ يُضَيِّفُهُ يَرْحَمُهُ اللهُ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو طَلْحَةَ

يارسول الله فانطلق بي الي بيته فقال لامرأته هل عندك شيء فقالت لا إلا قوت صبياني فقال علليهم بشيء ونوميهم فاذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل فاذا أهوى بيده ليأكل فقومي إلى السراج كي تصلحيه فاطفئيه ففعلت فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله فقال لقد عجب الله من فلان وفلانه

لا يتعجب من الله وإنما هو كناية عن القبول والرضا

تكلم بعض الناس فى نبوة آدم ورسالته عليه السلام . نعم لم يذكره القرآن بالنبوة ولكنه ذكر مخاطبة الله سبحانه له بلا واسطة وشرع له فى ذلك الخطاب فأمره ونهاه وحلل له وحرم عليه دون أن يرسل إليه رسولا ، وهذا هو كل معانى النبوة ، وأما الرسالة فمختلف فيها وحديث الشفاعة فى مسلم أن الناس يذهبون إلى نوح ويقولون

له أنت أول رسول إلى الأرض . فقول بأنه أول رسول بعد الطوفان كما قال العلماء إن آدم أكل من شجرة غير التي نُهي عنها متأولا أن النهي عن عينها لا عن جنسها . وهذا غير جواب النسيان . والذي دعا إلى هذا التأويل أن إدريس رسول أيضا قبل نوح فليس نوح أول رسول

واعلم أن عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مائة واربعة وعشرون ألفا تقريبا . الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر أو ستة عشر على الخلاف ، والواجب معرفته منهم خمسة وعشرون وهم من ذكروا في القرآن . ثمانية عشر في آية وتلك حجتنا وسبعة متفرقون في القرآن . وهم أفضل من كل الرسل والأنبياء وأفضل الخمسة والعشرين أولو العزم وهم خمسة مذكورون في قوله تعالى.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ

وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأفضلهم سيدنا محمد ثم سيدنا ابرهيم ثم سيدنا موسى ثم سيدنا عيسى ثم سيدنا نوح عليهم الصلاة والسلام ، وترتيب الرسل الخمسة والعشرين في الرسالة حسب الآتي في الأبيات :

ألا إن أيمانا برسل تحتما وهم ادريس نوح على الولا
وهود صالح ولوط مع ابراهيم أتى كذا نجله اسماعيل اسحاق فضلا
ويعقوب يوسف يتلو شعيبهم وهرون مع موسى وداود ذو العلا
سليمان أيوب وذو الكفل يونس والياس ايضا واليسع ذاك فاعقلا
كذا ذكريا ثم يحيى غلامه وعيسى وطه خاتما قد تكملا
عليهم صلاة الله ثم سلامه يدومان مادام الارض وما علا

وكل الأنبياء أفضل من كل الملائكة. وخواص الملائكة أفضل من خاصة البشر. وخواص البشر بعد الأنبياء أفضل من عامة الملائكة وعامة الملائكة أفضل من عامة البشر. هذا ما انحط عليه رأى العلماء

جاء أعرابي بعد دفنه ﷺ فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما أنزل عليك ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما

وَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَجِئْتُكَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ ذَنْبِي
فَاسْتَغْفِرْ لِي رَبِّي فَنُودِيَ مِنْ قَبْرِهِ قَدْ غُفِرَ
لَهُ — وَقَالَ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَ حِسَابَ أُمَّتِي
إِلَيَّ لِئَلَّا تَفْتَضِحَ عِنْدَ الْأُمَمِ فَأَوْحَى اللهُ
إِلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ أَنَا أُحَاسِبُهُمْ فَإِنْ كَانَتْ مِنْهُمْ زَلَّةٌ
سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ لِئَلَّا تَفْتَضِحَ عِنْدَكَ

الباب السابع — فى القرآن

قال صلى عليه وسلم الْقُرْآنُ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ
لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَلَا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ
مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ رَشَدَ وَمَنِ اعْتَصَمَ
بِهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ — وَقَالَ إِنَّ الَّذِي
لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ

وقال الماهرُ بالقرآنِ مع السَّفرةِ الكرامِ البررةِ . والذى يقرأُ القرآنَ ويتتعتعُ فيهِ وهوَ عليهِ شاقٌّ فلهُ أجرانِ — وقال تعاهدُوا القرآنَ فوالذى نفسُ محمدٍ بيدِهِ لهوَ أشدُّ تفلُّتًا منَ الإبلِ فى عُقُلِها — وقال منْ قرأَ القرآنَ فليسألِ اللهَ بهِ فإنَّهُ سيجىءُ قومٌ يقرءونَ القرآنَ ويسألونَ الناسَ بهِ — قال رجل يارسولَ اللهِ أىُّ الأعمالِ أحبُّ إلى اللهِ تعالى ؟ قال الحالُّ المُرتحلُ — قال وما الحالُّ المرتحلُ قال الذى يضربُ فى القرآنِ منْ أوّلِهِ إلى آخرِهِ كلَّما حلَّ ارتحلَ — وقال منْ لمْ يستشفِ بالقرآنِ فلا شفاءَ لهُ — وقال منِ استرقى أو اكتوى بَرِىءَ منَ التوكُّلِ — أى الكامل

وقال سيأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الأبدان إن أمرهم كله يكون طمعا لا خوف معه إن أحسن أحدهم قال يتقبل مني وإن أساء قال يغفر لي

وعن ابن مسعود قال انثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة

الدقل رؤوس التمر وهو كناية عن الترتيل والتدبر في معناه وهز الشعر كناية عن سرعة القراءة وهو منهي عنه

وقال من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار

قال العلماء يتأوله تبعا لهواه كمن يحتج على بدعته به مع علمه بأن المراد من الآية غير ما فسر أو تأول مع جهل فهذان داخلان فى هذا الوعيد

وقال عرضت على أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمتى فلم أر فيها أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها — وقال من قرأ خمسين آية فى اليوم والليلة لم يكن من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتى آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الأجر — وقال ﷺ لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى

قَيْنَتِهِ (القينة هي الجارية المغنية . أشد أذنا أي سماعا وقبولا)

وقال حَسِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ - كما قال حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ

أي أظهروا حسنه فان معاني القرآن تتجلى وتظهر بالصوت الحسن لأنه من دواعي الإصغاء المؤدي إلى الفهم ، ولكن الناس الآن كل ما يهمهم الصوت الحسن لا القرآن في ذاته ولهذا تراهم يهرجون إذا كان القارىء حسن الصوت وينكشون إن لم يكن كذلك ، ومما يؤسف أنهم يحيون القارىء باسم الله لا على وجه الذكر وجعلوه آلة لتحيته وهو لا يجوز بل وانغطوا في مجلس القرآن وتعاطوا الدخان وهم لا يستطيعون ذلك أمام آبائهم ورؤسائهم والعظماء

وقال ﷺ ألا إنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْباً وَقَلْبُ القرآن يس - وقال من قرأها وكان جائعاً أشبعه الله وإن كان ظمآن أرواه الله وإن كان

عُريانًا ألبسهُ اللهُ وإنْ كان خائفًا أمَّنهُ اللهُ
وإن كان مُستوحشًا آنسهُ اللهُ وإن كان فقيرًا
أغناهُ اللهُ وإن كان في السِّجن أخرجهُ اللهُ وإن
كان أسيرًا خلَّصهُ اللهُ وإن كان ضالًّا هداهُ اللهُ
وإن كان مديونًا قضى اللهُ دَيْنَهُ من خزائنه

وقال يس لما قُرئت له

أخشى أن تكون قد استكثرت ما ذكر في جانب تلك السورة الكريمة ، فالقرآن ما زالت فيه بركاته وحسن آياته وما اختفت تلك البركات إلا من قلة الصلاحية لحمله وتلاوته كيف

وقد قال ﷺ خذوا من القرآن ما شئتم لما شئتم

تدبر قول أحد الصحابة ، هذا سيف خالد وأين خالد ، فهذا القرآن وأين قراؤه والعاملون به فطالما جدد الماء به وزاد الطعام وشفى المريض وقضيت الحوائج

لمناسبة قوله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم

قال نبينا ﷺ من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا انت أستغفرك واتوب إليك إلا كان كفارة لما بينهما

وقال إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال ادركتم المبيت والعشاء

الباب الثامن - فى اليمين

قال الله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم

أى لا تعرضوا اسم الله للمهانة بكثرة الحلف فتقعوا فى الاثم

أو الكفر إذا كان ذلك على الاستهانة باسم الله ، فإن الله سبحانه وإن كان قد منع الحالف بغير اسمه أو صفته فقد نهانا عن اللجاج بأسمائه لأنه لا يصلح للفصل فى الخصومات إلا اسمه فهو الذى يعلم صدق الحالف وكذبه ؛ وهو الذى قد يخشى الحالف إذا كان مبطلا . أما غيره فلا . ومن أجل هذا منع الحالف بالنبى والولى والملك والأب والجد أو سواهم كالطلاق وغيره ولكنا قد وقعنا فى المحظور

قال ﷺ الا مَنْ كانَ حالِفاً فلْيَحْلِفْ باللهِ أو ليَصْمُتْ ـ ولا تحْلِفوا مِنْ قولِ اللهِ واحْفَظُوا أيْمانَكُمْ

لأن الحالف بالباطل وراءه عقوبة دنيوية وأخروية هما خراب الديار وعذاب النار

يقول نبينا اليَمينُ الفاجرة تَذَرُ الدّيار بَلاقِعَ

وقال مَنْ حَلَفَ عَلى يَمينٍ وهُوَ فيها فاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ مالَ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللهَ وهُوَ عَلَيْهِ

قَضْبَانُ — وقال مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَأَوْجَبَ لَهُ النَّارَ قالوا وإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا قال وإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ (أى عودا من شجر الاراك)

قال ﷺ مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ وَلْيَأْتِ الَّذِى هُوَ خَيْرٌ — وقال إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَأْتِ الَّذِى هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ

قدم فى الحديث الأول التكفير وأخره فى الثانى فأخذ المالكية والأحناف بالثانى ومنعوا التكفير قبل الوقوع، وأخذ الشافعية بالأول فأجازوا التكفير قبل الوقوع إلا بالتكفير بالصيام فاتفقوا جميعا على أنه لا يجوز قبل الوقوع لليمين - وأنت تعلم انه لا يجوز الصيام إلا عند العجز عن الأطعام لصريح الآية « فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ».

ثم كفر بالصيام وهو قادر على التكفير بالإطعام لا يجزئه

كما اتفق المالكية والأحناف أيضا على أن ترك التسمية فى الذبح تؤكل الذبيحة حالة نسيان التسمية دون العمد ، وعند الشافعية تؤكل مطلقا فى النسيان والعمد ، إلا إذا ذكر اسم غير الله عليها فلا تؤكل عند الجميع (وهى ميتة) وطعام أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى جائز لنا ما لم نعلم أنهم ذكروا اسم غير الله كعيسى أو عزير أو اسم صنم

قال الله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم (عن عائشة رضى الله عنها قالت يارسول الله إن هنا أقواما حديثا عهدهم بشرك يأتونا بلحمان ما ندرى يذكرون اسم الله عليها أم لا قال اذكروا أنتم اسم الله وكلوا

الباب التاسع — فى الوالدين

قال ﷺ لا يجزى ولد والده حتى يجده

مملوكاً فيشتريه فيعتقه وقال إياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة يوجد ريحها من مسيرة مائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان — (كبير السن) ولا جار إزاره ان الكبرياء لله رب العالمين — وقال اثنتان يعجلهما الله في الدنيا . البغي وعقوق الوالدين — وقال إن من الكبائر أن يشتم الرجل والديه . قيل وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال نعم يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه

جاء رجل إلى النبي وقال له من أحق الناس بحسن صحبتي قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك

فهذا يدل على حكيم عناية الشارع بالأم وأن طاعتها مقدمة

على طاعة الأب لأن مشقتها فى تربية الولد فوق مشقة الأب فقد حملته تسعا وأرضعته حولين ولاقت فى الكل مالا يحتمله أحد غيرها وتحملت من بوله وروثه والسهر فى سبيل راحته مالا يخفى وقدمته على نفسها فيما لذ وطاب من مأكل ومشرب على خلاف ما عليه الناس الآن من تقديم طاعة الأب عليها فهو عرف جاهلى

وقال رحم الله والداً أعان ولده على برّه

أى لم يحمله على عقوقه بسوء تصرفه فكما شدد الشارع على الولد فى أمر والديه لم يغفل جانب الوالدين فحرم عليهما أن يغضبا عليه بغير وجه وأن لا يسيئا التصرف معه فيحمله ذلك على العقوق . قال تعالى :

ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا

فقد حرم عليه أقل شىء وهو قول أف . وانظر الى قوله

كما ربيا صغيرا تجد الاشارة الى مبعث عناية الولد بوالد حال ضعفهما وكبرهما كما شملاه بالعناية حال ضعفه وحاجته اليهما فما أعظم هذه الاشارة

وقال عليه الصلاة والسلام اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر كما قال لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم كما لك من الحق أن يبروك

وقد تمسك بهذه الأحاديث من منع تخصيص البعض ببعض المال . وحمل الجمهور ذلك على الاستحباب ، وفي نظري قد فهمي ترجيح الرأي الأول فانه مع كونه مجاريا لمنطوق الأحاديث فهو قاض بدفع المشاحنات والعداوة بين الأخوة فكثيرا ما سمعنا أن ذلك كان سببا في قتل الأخ لأخيه . بل وقتل الأب نفسه

جاء أبو النعمان إلي رسول الله وقال أعطيت ابني النعمان عطية فأمرتني أمه أن أشهدك يارسول الله . فقال أعطيت سائر ولدك ؟ قال لا قال اتقوا

اللهَ واعدِلوا بينَ أولادِكُمْ وفي روايةٍ لا تُشْهِدْني عَلى جَوْرٍ — وقالَ دعاءُ الوالدِ لولدِهِ مثلُ دعاءِ النبيِّ لأمتِهِ — وقالَ أيضًا أولادُكُمْ دعاميصُ الجنةِ يتلقى أحدُهُمْ أباهُ فيأخذُ بثوبِهِ فلا ينتهي حتى يدخلَهُ اللهُ وإياهُ الجنةَ

(الدعاميص) السمك الصغير ، فالأطفال الذين يموتون في صغرهم لهم حريتهم في الجنة وكرامتهم عند ربهم ، ومن ذلك شفاعتهم في آبائهم فهم يمسكون بثيابهم ولا يرضون إلا أن يكون آباؤهم معهم في الجنة فيقبل الله شفاعتهم فيهم ويدخلهم من أجلهم الجنة

وقالَ مَنِ ابتُلِيَ مِنْ هذهِ البناتِ بشيءٍ كُنَّ لهُ سِتْرًا مِنَ النارِ

البنات مبغوضات عند كل الناس إلا قليلا خصوصا في العهد الجاهلي فكرمهن الله حتى جعلهن سترا من النار لآبائهم

ليحول كراهة الناس لهن إلى محبة وعطف فيسلخ من أذهانهم ذلك الخلق الجاهلي

وقال صلى الله وسلم أنا وكافل اليتيم كهاتين وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى — وقال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه

أرسل سيدنا معاوية إلى الأحنف بن قيس وقال له ما تقول في الولد قال يا أمير المؤمنين ، ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك ويودون وفاتك ويكرهوا قربك . فقال معاوية لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت على وأنا مملوء غضبا وغيظا

وعلي الجملة يقول صلى الله عليه وسلم لا تكن ليّنا فتعصر ولا يابسا فتكسر

لا تكن ليناً حتى تهدر كرامتك على أيدى السفهاء ولا يابساً فتكسر على أيدى الجبابرة الأقوياء .. فتلين حين يفيد اللين وتشتد حين تصلح الشدة ، سواء فى جانب الأولاد أو غيرهم

الباب العاشر — فى الجار

قال صلى الله عليه وسلم الْجِيرَانُ ثَلاَثَةٌ جَارٌ لَهُ حَقٌّ وَهُوَ الْمُشْرِكُ لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ وَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ وَحَقُّ الاسلام وجار له ثلاثة حقوق وهو جارٌ مسلم له رَحِمٌ . له حق الجوار وحق الاسلام وحق الرَّحِم وقال ما آمَنَ بِى مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ وقال صلة الرَّحِم وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يُعَمِّرْنَ الدِّيَارَ وَيَزِدْنَ فى الأَعْمَارِ — وقال من كان يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا
أو ليصمت - وفي رواية فليكرم ضيفه جائزته
وجائزته ثلاثة أيام ثم يعطيه ما يجوز به من منزل
إلى منزل وهو نفقة يوم وليلة

وقال لا يحل لامرئ مسلم أن يقيم عند
أخيه حتى يؤثمه

أي إذا أطال عنده القيام فلم يكرمه أو يحمله مالا يطيق
فيأثم هو

وقال ﷺ إنه ليدفع بالمسلم الصالح عن
مائة أهل بيت من جيرانه ثم تلا ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض إلى آخرها

أي لهلك من فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر
وبالطائع عن العاصي

وقال من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقأوا عينه — وقال خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره

سئل رسول الله عن حق الجار فقال إن استقرضك أقرضته وإن استعان بك أعنته وإن احتاج أعطيته وإن مرض عدته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزيته وإن مات اتبعت جنازته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذه بريح قدرك إلا أن تغرف له وإن اشتريت فاكهة فاهد له وإلا فأدخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليتغيظ بها ولده — جاء رجل إلى رسول

الله وقال إنّ فلانة تذكر من كثرة صلاتها
وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها
قال هي في النار. وإنّ فلانة تذكر من قلة
صلاتها وصيامها وأنها تتصدق بالقليل ولا
تؤذي جيرانها قال هي في الجنة — وقال إنّ
العبد لا يكتب في المسلمين حتى يسلم
المسلمون من لسانه ويده ولا ينال درجة
المؤمنين حتى يأمن جاره بوائقه ولا يرد من
المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به
بأس إنه من خاف البيات أدلج ومن أدلج
في المسير وصل. وإنما تعرفون أعمالكم لو
طويت آجالكم. أيها الناس إنّ نية المؤمن
خير من عمله ونية الكافر شر من عمله

أي من خاف مكروها في المبيت في سفر أدلج ، أي سار ليلا ولا يبيت يعني يبتعد عن الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات

الباب الحادي عشر — في الخليفة والعدل

قال ﷺ انَّ الْمُقْسِطِينَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عز وجل وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا

معلوم انه لا يد لله سبحانه وإنما جاء هذا على وفق المتعارف من أن العزيز يجلس على اليمين تكريما له

وقال الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ إِثْنَانِ فِي النَّارِ وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ . رَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَحَكَمَ بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ وَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ — وقال مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا

فَوَلِّ رَجُلًا وَهُوَ يَجِدُ مَنْ هُوَ أَصْلَحُ لِلْمُسْلِمِينَ
مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَانَ الْمُؤْمِنِينَ

وقال ﷺ مَنِ ابْتُلِيَ بِالْقَضَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
فَلْيَعْدِلْ بَيْنَهُمْ فِي لَحْظِهِ وَإِشَارَتِهِ وَلَا يَرْفَعْ
صَوْتَهُ عَلَى أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ مَا لَا يَرْفَعُهُ عَلَى
الْآخَرِ — وقال إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرُوا
السَّاعَةَ قِيلَ وَكَيْفَ إِضَاعَتُهَا قَالَ إِذَا وُسِّدَ
الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ

أى إذا ولى من لم يكن أهلا للوظيفة وكان سيدنا عمر إذا ولى أميرا قال له آس بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف فى عدلك

وقال عليه السلام إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ
إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ

فَأَقْضِي لَهُ عَلَى حَسَبِ مَا أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنِّي أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ

(ألحن) أى أقوى فيستعمل ذكاءه فى التضليل فيقع ذلك فى سمع القاضى أنه الحق فيقضى له بحق أخيه العاجز عن الافصاح بحقه فلا يأخذه فان حكم القاضى لا يحل حراما

الباب الثانى عشر — فى الزنى

قال ﷺ لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ . مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ . مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ

ما ظهر أى للناس أو ما خفى عنهم . أو ما ظهر على الجوارح وما بطن فى القلب ومعنى الغيرة فى جانب الله سبحانه أنه يمنع

العبد من الفواحش أو ينتقم منه بالعذاب

وقال ﷺ إذا زنى العبد خرج منه الإيمان حتى يصير كالظلة فإذا أقلع رجع إليه

الايمان عظيم والزنى فاحش قبيح فلا يجتمعان فى زان فيخرج الايمان من قلبه حين الزنى حتى ينتهى منه ثم يعود اليه

وقال يا معشر الناس اتقوا الزنى فإن فيه ستة خصال ثلاثة فى الدنيا وثلاثة فى الآخرة أما التى فى الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر . وأما التى فى الآخرة فسخط الله وسوء الحساب وعذاب النار — وقال النساء حبائل الشيطان

أى شباكه يصطاد بها الناس

وقال ﷺ من وقع على امرأة لا تحل له

بِشَهْوَةٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ
فَإِنْ كَانَ قَدْ قَبَّلَهَا قُرِضَتْ شَفَتَاهُ فِي النَّارِ فَإِنْ
زَنَى بِهَا قُطِعَتْ فَخِذَاهُ وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ أَنَا
لِلْحَرَامِ رَكِبْتُ . فَيَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِ بِعَيْنِ
الْغَضَبِ فَيَقَعُ لَحْمُ وَجْهِهِ فَيُكَابِرُ وَيَقُولُ
مَا فَعَلْتُ فَيَشْهَدُ عَلَيْهِ لِسَانُهُ وَيَقُولُ أَنَا بِمَا
لَا يَحِلُّ نَطَقْتُ وَتَقُولُ يَدُهُ أَنَا لِلْحَرَامِ تَنَاوَلْتُ
وَتَقُولُ عَيْنُهُ أَنَا لِلْحَرَامِ نَظَرْتُ وَتَقُولُ رِجْلُهُ
أَنَا لِمَا لَا يَحِلُّ مَشَيْتُ وَيَقُولُ فَرْجُهُ أَنَا فَعَلْتُ
مِصْدَاقَ ذَلِكَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ
عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ
وَيَقُولُ الْحَافِظُ وَأَنَا سَمِعْتُ . وَيَقُولُ الْمَلَكُ
الْآخَرُ وَأَنَا كَتَبْتُ . وَيَقُولُ اللهُ وَأَنَا اطَّلَعْتُ

وصمتت ثم يقول الله عز وجل يا ملائكتي خذوه ومن عذابي أذيقوه فقد اشتد غضبي على من قل حياؤه مصداق ذلك قوله تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)

المراد من الجلود في الآية الفروج عبر سبحانه وتعالى عنها بالجلود اشارة إلى حقارتها ولو دققنا النظر لأدركنا قذارتها وكان يكفينا حينئذ أن نصرف طبيعتنا فيما يحل تنفيذا لتلك الضرورة الملحة

وقال ﷺ ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة أشيمط زان وعائل متكبر ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه

الأشيمط هو من اختلط سواد شعره ببياضه . والعائل هو الفقير . الزنى محرم على الكبير والصغير لكنه في جانب

للشاب أشد لأن الرجل الذى أضناه الموت بخناقه ولا يستحى من شيبه ولا يخاف ربه وهو على باب القبر والوقوف بين يدى الله يقع فى الفاحشة فقد استحق ذلك الوعيد والعذاب الشديد كذلك العائل اى الفقير ، كيف يستكبر ولم يكن عنده ما يدعوه لذلك من سلطان أو جاه أو مال وإن كان الكبر أيضا محرما على الغنى وهو كبيرة فى جانبهما إلا أنه فى جانب الفقير أشد

ورد أنه مكتوب على باب الجنة لا يَدْخُلُهَا عَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ — ومكتوب أيضا لا يَدْخُلُهَا نَاكِحُ يَدِهِ

فليحذر الشبان من استعمال أيديهم

وفى الحلال متسع فمن زوجة إلى أربع وقد ربع الله الغيرة من نفوس الناس فى أمر الزواج

لهذا يقول نبينا جَدِّعَ الْحَلَالُ أَنْفَ الْغَيْرَةِ

فالكل يغار على عرضه إلا عن طريق الزواج

جاء رجل إلى رسول الله وقال ائْذَنْ لِي فِى الزِّنَى

(ظنا منه انه ﷺ هو المحلل والمحرم) فصاح به الناس فقال النبي قربوه، أدن فدنى حتى جلس بين يديه، فقال له أتحب ذلك لأمك؟ قال لا جعلني الله فداك، قال كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم قال أتحبه لأختك؟ قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم، حتى ذكر العمة والخالة فوضع النبي يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه. فلم يكن شيء أبغض إليه منه

حكيم أنت يا رسول الله فقد أقنعته بما ينفره من تلك الفاحشة فاقتنع وتاب. ولكنها بركتك التي لا ينفلت منها عاصي

شهوته ولشدة قبح الزنى حرم الله وسائله من أجله كالقبلة والنظرة والخلوة والمكالمة الخبيثة والملامسة الى غير ذلك مما قد يؤدى اليه خصوصا وأن الزنى دين على الزانى إن لم يتب فلابد من استقضاءه فى أهله

لهذا يقول صلى الله عليه وسلم عِفُّوا عَنِ النِّسَاءِ تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ وبِرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ وَمَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ مُتَنَصِّلا فَلْيَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ مُحِقًّا كَانَ أَوْ مُبْطِلا وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ

متنصلا أى معتذرا عن أمر فرط منه فواجب عليه أن يقبل اعتذاره ولو كان غير محق

وقال صلى الله عليه وسلم نَظَرُ الرَّجُلِ إِلَى مَحَاسِنِ الْمَرْأَةِ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ

سهم إلى الناظر المرأة ليوقعه فى الفاحشة فيقتله كما يقتل السهم المسموم

وقال من زنى أو شرب خمراً نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه

وقال الغيبة من الإعلان والمذاء من النفاق

المذاء ملاعبة النساء

وقال صنفان من أهل النار لم أرهما بعد قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا

في بعض الروايات مسيرة مائة عام - وقوله كاسيات أي من لباس الزينة - عاريات أي من لباس التقوى أو أنهن نصف كاسيات ونصف عاريات كما هو الحال في زماننا هذا - مائلات عن الطاعة مميلات للقلوب - وقوله كأسنام

(البُخت) أى الإبل وذلك بما يصنعن فى شعرهن من المكى والإمالة ليجتذبن قلوب الرجال وليلفتن أنظارهم

وقال ﷺ لَيُمْسَخَنَّ قَوْمٌ عَلَى أَرِيكَتِهِمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ بِشُرْبِهِمُ الْخَمْرَ ، وَضَرْبِهِمْ بِالْبَرَابِطِ وَاتِّخَاذِهِمُ الْقَيْنَاتِ

(الأريكة) المقعد كالكرسى والبرابط آلات اللهو كالعود وغيره (والقينات) المغنيات ، فالشارب للخمر ، والضارب بالعود مثلا ، والمتخذ للمغنيات ممسوخون فى باطنهم وقلوبهم لا فى أبدانهم فتصير قلوبهم شهوانية حيوانية منسلخة عن إنسانيتها لأن ، الأخلاق الذميمة للحيوان فمن وجد فيه خصلة من خصال حيوان كان ممسوخا فى الباطن فى صورة هذا الحيوان

سئل رسولُ اللهِ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجنةَ . فقال تَقْوَى اللهِ وحُسْنُ الخُلُقِ — وسئل عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النارَ . فقال الفَرْجُ

والأمم وقال لا تظهر الفاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ولا طففوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالقحط والسنين وشدة النفقات وجور السلطان . ولا منعوا زكاة أموالهم إلا حبس عنهم القطر من السماء ولو استمطروا لم يمطروا ولولا البهائم لم يمطروا . ولا نقضوا عهود الله ورسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم فأخذ بعض ما في أيديهم ولا حكم أئمة بغير كتاب الله تعالى إلا جعل الله بأسهم بينهم شديدا

ظهرت (الفاحشة) أي الزنى بل وأبيح رسميا فسلط الله علينا الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافنا . وفرطنا في الواجبات ووقعنا في المحرمات فسلط الله علينا عدونا فأخذ بعض ما في أيدينا بل وأفقدنا حريتنا واستقلالنا . وأنت الآن لا تجد

بلدا اسلاميا إلا وهو تحت سلطان أجنبي شرقت أو غربت وحكم ولاة أمورنا بغير كتاب الله فجعل الله بأسنا بيننا شديدا فالمسلم أسد على المسلم وعلى غيره نعامة

أَشَدُّ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ — فَهَلْ فَهِمْتُمْ

أَنَّانِي كَرَامَةُ الْبَهَائِمِ أَوْ أَنَّ الْبَصَائِرَ انْطَمَسَتْ كَمَا عَمِيَتْ الْأَبْصَارُ — وَقَالَ اللهُ تَعَالَى وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ

فَالْوَا خَذَةُ عَلَى الْبَعْضِ عَلَى مَا قَدَّمَ مِنَ الْأَذَى

وَقَالَ ﷺ اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا — وَقَالَ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي بِعَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ نَقَلَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ فَحُشِرَ مَعَهُمْ — وَقَالَ أَيُّ امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ

مُرَّتْ عَلَى قَوْمٍ فَوَجَدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ
وَكُلُّ عَيْنٍ تَنْظُرُ إِلَيْهَا زَانِيَةٌ

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَقَالَ لَهُ إِنَّ الْآخَرَ قَدْ زَنَى يَعْنِي نَفْسَهُ أَيِ الْأَبْعَدَ. فَقَالَ لَهُ هَلْ ذَكَرْتَ هَذَا لِغَيْرِي. قَالَ لَا. قَالَ فَتُبْ إِلَى اللهِ وَاسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ

أَمَرَهُ بِالسِّتْرِ لِأَنَّ ذِكْرَ الْمَعْصِيَةِ مَعْصِيَةٌ أُخْرَى. وَأَنْتَ تَرَى النَّاسَ الْآنَ يَفْضَحُونَ أَنْفُسَهُمْ بِذِكْرِ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ كَمَا يَفْضَحُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَيَفْتَخِرُونَ بِالْمَعَاصِي

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ إِذَا بُلِيتُمْ فَاسْتَتِرُوا. وَقَفَلُوا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

وَمَا دَرَوْا مِقْدَارَ هَذَا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ. كَمَا حَرَمَ الشَّارِعُ

السباب ، جعل له عقوبة فى الدنيا قبل الآخرة وهى جلد القاذف لغيره ثمانين جلدة كقوله يازانى . وكذا الكنايات إذا أريد منها ذلك كقول المرأة لاخرى ياشرموطه مثلا . وقد استهان كل من الرجال والنساء فى أمر السباب والمشاتمة ورأوا لانفسهم عذرا فى ذلك

شدد الشارع فى أمر الزنى لفداحة ما يترتب عليه من فضيحة قد تبلغ الاجيال . ومن انه قد يرث من لا حق له فى الميراث ومن إغضاب الله ورسوله . وقد ينشأ عن الزنى ذراري لا يعلم عددهم إلا الله فيجىء الزانى والزانية يوم القيامة ووراءهما تلك الذرارى

يقول ﷺ إِيَّاكُمْ والتَّعَرِّى فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْغَائِطِ وحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلى أَهْلِهِ فَاسْتَحْيُوهُمْ وكَرِّمُوهُمْ

معا ملائكة كتبة وحفظة لا يفارقوننا ليلا ولا نهارا وبالطبع يطلعون على كل ما يصدر منا من خير أو شر واكنهم

لكرامتهم عندربهم وعند أنفسهم يفارقونا عند دخول الحائض وعند الالتقاء بالزوجات لكرامة ذلك بالنسبة لهم ، وترانا نستحي حتى من الاطفال فلا نطلعهم على الافعال المحللة ، كالالتقاء بالزوجة . فما بالنا لا نستحي من ملائكة مكرمين ، إثنان كتبة وعشرة حفظة بالليل ومثلهم بالنهار وسيكونون شهودا لنا أو علينا ، فأمرنا الشارع بالاستحياء منهم وبتكريمهم ، فلا نفعل ما لا يرضي ربهم ، فنكرم جيرتهم حتى في كشف العورة فضلا عن الزنى على مرأى منهم ، ولا تغفل عن قوله تعالى - « وهو معكم » وقوله « والله من ورائهم محيط » كما حذرنا صلى الله عليه وسلم من صغار الذنوب

فقال إياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا

الطالب هو النار فمحقرات الذنوب بالاصرار عليها والتمادي فيها تصير كبائر

وقال إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تتكلم

ما يدور فى الصدر اما جزم على طاعة أو معصية ، ففيه الثواب والعقاب ولو لم يفعل فيحتاج تصميمه على المعصية إلى توبة فان كان تركه للمعصية لله فهو توبة تمحى بها السيئة وإن كان لامر خارج عن إرادته كعدم وجود المزنى بها مثلا ، فهذا هو الذى يحتاج الى توبة . وأما هم وهو رجحان الفعل فان كان فى الخير ففيه الثواب ، وإن كان فى الشر فقد سامحنا الله فيه ما لم نفعل وذلك من أجل النبى صلى الله عليه وسلم ، تأمل قوله (تجاوز لى فى الحديث) أى من أجلى .

وقد كانت الأمم السابقة مؤاخذة بالهم كالعزم

روى أن جميلة بنت عبد الله بن ابىّ بن سلول كانت تبغض زوجها ، ثابت بن قيس ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسى ورأسه وسادة . والله لا أعيبه فى دين ولا فى خلق ولكنى أكره الكفر بعد الاسلام وما أطيقه بغضا . انى رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل فى جماعة من الرجال فاذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجه وكان قد أصدقنى حديقة فانا أنزل عنها . وليخالعنى فقالت

وقفة فى جانب هذه الحادثة لعلنا ندرك حكمة الشارع فى قوله وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ

هذه السيدة رأت زوجها دون غيره فى لونه وقامته ووجهه فكرهته وطلبت مفارقته . كما أن الرجل قد يرى من هى أجمل من زوجته فيبغضها ويتمنى مفارقتها . وكل ذلك يرجع إلى تردد النساء فى الطرقات ، وبالطبع ما من رجل إلا وهناك من هو أجمل منه ، وما من امرأة إلا وهناك من هى أجمل منها ، فلو تمكن الجنسان من الاختلاط لوقع لكثير من الطرفين ما وقع لهذه السيدة الجليلة الصحابية . ونحمد لها هذه الصراحة لأنها لا يصح أن تعيش فى حجبته مع هذا البغض ، ولعفافها لا تستطيع خيانة دينها وزوجها ونحن الآن نغالط أنفسنا ونجارى هذا التيار الجارف ونغفل عن نتائجه وهى معلومة لنا ، وفى الحوادث أقوى دليل على فساد هذا الاتجاه وينبغى التنبه إلى الفارق بين الشرقية ذات البيئة الحارة وبين الغربية ذات البيئة الباردة . والرجل والمرأة فى ذلك سواء . . وفى النفس كثير وكثير مما يخجل التصريح به . وكيف نصارح والكل يعلم ما وصل إليه

حالنا . انتظر فسوف تطالب المرأة مساواتها فى كل شىء للرجل من وظائف حكومية ونيابة برلمانية . وتهمل تربية أولادها ، وتعتمد فى ذلك على الخادم . وهل تستوى تربيته مع تربيتها من حيث التقويم الخلقى . فما تكسبه هناك تخسر أخطر منه هنا وهى لا تستطيع أن تقوم بوظيفتين داخلية وخارجية . وقد ضاقت الوظائف على الرجال . فالخير أن يوكل إلى كل من الطرفين ما من أجله خلق

الباب الثانى عشر — فى الخمر

قال ﷺ الخمر جماع الاثم

الاثم هو الذنب فاذا سكر الانسان ذهب تمييزه فيقع فيما يخطر بباله من الذنوب فقد يأتى أمه أو يقتل أباه الى غير ذلك فكان جماع الاثم . وكل ما غيب العقل فهو خمر

لهذا يقول نبينا كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ومَنْ شَرِبَ الخَمْرَ فى الدنيا

لَمْ يَشْرَبْهَا فِى الْآخِرَةِ

كناية عن عدم دخوله الجنة ابتداء لأنهـــا لا تشرب إلا فيها ما لم يستحل شربها فيكفر كباقى المحرمات ، فاستحلال الحرام المجمع على تحريمه كفر كما أن إنكار وجوب واجب مما أجمع على وجوبه كفر كذلك لأن فيه تكذيب الرسول والقرآن فالوجوب والتحريم عنهما

وقال ﷺ إنَّ عَلَى اللهِ عَهْداً لِمَنْ شَرِبَ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ . قيل وما طِينَةُ الْخَبَالِ . قال : عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ

وَلَعَنَ رسولُ اللهِ فِى الْخَمْرِ عَشَرَةً عَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَوَاهِبَهَا وَآكِلَ ثَمَنِهَا

المعتصر هو طالب عصرها فمعصر العاصر . والمبتاع هو المشترى لها . واللعن هو الطرد من الرحمة (أى من الجنة لأنها موضع الرحمة

كما قال صلى الله عليه وسلم اجتنبوا الخمر
فإنه والله لا يجتمع إيمان وإدمان الخمر
في صدر رجل أبداً ليوشكن أحدهما أن
يخرج صاحبه — وقال إن الله جعل لكل
داء دواء فلا تداووا بالحرام — كما قال
ما جعل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها

وقال ﷺ إن الله لما خلق الجنة قال لها
تكلمي فقالت سعد من دخلني فقال الجبار
جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية
نفر من الناس. لا يسكن فيك مدمن خمر
ولا مصر على الزنى ولا قتات ولا ديوس ولا
شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول
على عهد الله إن لم أفعل كذا وكذا ولا يفي

(القمات) هو الواشى النمام، والديوس هو الذى لا يغار على أهل بيته والشرطى رجل البوليس والمخنث الذى يتكسر فى كلامه مثل النساء

الباب الثالث عشر — فى الصدق والكذب

قال ﷺ عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما فى الجنة وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما فى النار

أى أن الصادق فى الجنة مع أهل البر، والكاذب فى النار مع أهل الفجور، فما أجل الصدق وما أكثر مزاياه فانه يرفع من شأن صاحبه غنيا كان أو فقيرا فيكبر فى أعين الخلق حتى العظماء، وعلى العكس منه الكذب فرذائله أكثر من أن تحصر فصاحبه حقير فى أعين الناس غنيهم وفقيرهم، ولا مروءة له وهو ساقط عن درجة الاعتبار فاصح من صدقه نسب إلى غيره لاشتهاره بالكذب، وما شاع من كذب غيره نسب اليه لتعوده الكذب فتبادر الاذهان الى نسبته اليه

وقال ﷺ مَنْ وُقِيَ شَرَّ قَبْقَبِهِ وَذَبْذَبِهِ وَلَقْلَقِهِ فَقَدْ وُقِيَ الشَّرَّ كُلَّهُ

(القبقب) البطن هو خزانة الطعام والشراب فالحذر من أن تخزن فيه طعاما حراما أو شرابا حراماً . واللقلق هو اللسان ولا حصر لآفاته ؛ فيه الكذب والغيبة والنميمة واللعن والطعن والزور الى آخر ما يعلم الناس ، والذبذب هو الفرج وهو ايضا مصيبة المصائب والاحتراس منه واجب

كما أنه لا يحدث بكل ما يسمع لأن أكثر ما يقال كذب

قال ﷺ كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ

يعنى أنه لو لم يكن له ذنوب إلا أنه يحدث بكل ما يسمع لكفاه هذا فى أن ينال من العذاب ما لا قبل له به لما فيه من نشر فضيحة فى الخلق وتجريح لهم . فقد يمدح من لم يكن أهلا للمدح ويذم من يكن للذم أهلا . وقد ساءت سمعة الجميع من جراء قولهم فى بعضهم حتى صار الكل مذموما فذهبت الثقة من النفوس

وتفككت الروابط حتى بين الأقرباء والزملاء والجيران

ولما كانت حقائق الناس مجهولة لنا لأن المدار على ما فى القلب لا ما يجرى على اللسان ؛ وما فى القلب لا يعلمه إلا الله وجب أن يحترس الانسان فى مدحه وأن يكون بحساب مع تفويض الأمر إلى الله فان كان ظاهره متفقا مع باطنه كان مدحه فى محله وإلا عوقب على ذلك وينطبق عليه قوله تعالى

(وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

كما ينبغى أيضا ألا يبالغ الانسان فى مدحه لنفسه خشية أن يشمله وعيد قوله تعالى

فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى

وقال صلى الله عليه وسلم إِنَّ الْعَبْدَ لَيُنْشَرُ لَهُ مِنَ الثَّنَاءِ مَا يَمْلَأُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ وَمَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ

تأمل ما يجرى الآن على ألسنة المداحين عالم بقل فى سادة السادة والممدوح ينتفخ ويعلو ليطاول السحاب وهل ينطبق عليه كل هذا المدح لو قوى شعوره لسقط على الأرض خجلا

إرحموا أنفسكم أيها الناس فقد غررتم بالخلق فاغتروا بل وتطاولوا عليكم واستذلوكم وعزوا على حسابكم فاضطررتم الى أن تكيلوا لهم المدح جزافا . فكان النفاق والمواربة . فتقلبت الرذائل على الفضائل ولا يجرأ مرءوس حتى أن يقف أمام باطل رئيسه . وقديما قالوا أن ضغط الرئيس على المرءوس يميت الفضيلة فى نفس المرءوس فيظهر له الحب والاخلاص بين يديه وإذا فارقه لعنه بكل لسان . بل قد يتقربون إليهم بالحط من قيمة زملائهم ليتملوا على حسابهم فساء الحال من رئيس ومرءوس . وأخذوا يخترعون من ألفاظ التبجيل ما لم يسمع به فى أمة . من قولهم صاحب العزة أو السعادة أو الدولة أو الرفعة . وتراهم فى جانب ربهم يقولون . ربنا (حاف) اما المؤمن فانه ينكمش اذا مدح فى وجهه ولو كان أهلا لما يقال فيه بقوله عليه الصلاة والسلام إذا مُدِحَ المُؤْمِن

فى وجهه ربا الإيمان فى قلبه

بالغ رجل فى مدح سيدنا على فقال له وهو يشك فى إخلاصه أنا دون ماتقول وفوق ما فى نفسك وكان بعض الأفاضل إذا مدح قال اللهم لاتؤاخذنى بما يقولون واغفر لى مالا يعلمون واجعلنى خيرا مما يظنون

وقال صلى الله عليه وسلم لَيْسَ الْبَيَانُ كَثْرَةَ الْكَلَامِ وَلَكِنْ قَصْدٌ فِيمَا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُه وَلَيْسَ الْعِيُّ فِي الْإِنْسَانِ وَلَكِن قِلَّةُ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَقِّ — وقال مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ

وقال سيدنا عمر إذا أراد الله بقوم سوءا منحهم الجدل ومنعهم العمل

وقال الحسن البصرى كم مستدرج بالاحسان اليه وكم مفتون بالثناء عليه وكم مغرور بالستر عليه

وقال صلى الله عليه وسلم إنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيْنَا وأَقْرَبَكُمْ مِنَّا فِى الآخِرَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا وإنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيْنَا وأَبْعَدَكُمْ مِنَّا الثَّرْثَارُونَ والْمُتَشَدِّقُونَ والْمُتَفَيْهِقُونَ

الثرثارون كثيرو الكلام مع تردد وتخليط كما يصنع المعجب بنفسه ومنطقه ، والمتشدقون هم الذين ينطقون بالكلام كما ينطق الأشدق الذى يلوى شدقه للتفصح ، و (الشدق) زاوية الفم ، والمتفيهقون هم المتكبرون

وقال صلى الله عليه وسلم الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ ويَدِهِ والْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ ورسولُه عَنْهُ

والْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلى دِمَائِهِمْ وأَمْوَالِهِمْ

بعد فتح مكة المكرمة نسخت الهجرة وكانت واجبه وفيها الثواب العظيم فشق ذلك على من لم يهاجر وسألوا رسول الله

فى ذلك فقال إن ثواب الهجرة يحصل لمن هجر ما نهى الله ورسوله عنه

سئل رسول الله فقيل له ما النجاة ؟ فقال : أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك

فيها النجاة حقا هذه الثلاثة فآفات اللسان كثيرة معروفة والمخالطة الآن ضارة غير نافعة ، والخلاص من شرها البعد عنها إما فى مقر العمل أو البيت ، والبكاء على الخطيئة من مقتضيات الغفران فعلينا بهذه الثلاثة إذا أحببنا النجاة

وقال ﷺ رحم الله عبدا تكلم فغنم أو سكت فسلم إن اللسان أهلك شيء للإنسان ألا وإن كلام العبد كله عليه إلا ذكر الله أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو إصلاحا بين المؤمنين . فقال له معاذ بن جبل يارسول الله أنؤاخذ بما نتكلم به قال وهل يكب

النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ

يدعو رسول الله بالرحمة لمن يتكلم بخير فيغنم ثوابا أو يسكت عن شر فيسلم من الذنب

ولا تغفل عن قوله حصائد تشبيها للسان بالمنجل الذى يحصد الكثير من الزرع فاللسان يحصد الكثير من الذنوب كما علمت

وقال إنَّ فِى الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ

المعاريض هى التورية بشىء عن شىء آخر بأن تريد من اللفظ غير ما يتبادر منه ولا يفهمه السامع مما قد يحتمله فلا تعد كاذبا

وقال ستكونُ عليكم أمَّةٌ يَمْلِكُونَ أَرْزَاقَكُمْ يُحَدِّثُونَكُمْ فَيَكْذِبُونَكُمْ وَتَعْمَلُونَ فَيُسِيئُونَ الْعَمَلَ . لَا يَرْضَوْنَ عَنْكُمْ حَتَّى تُحَسِّنُوا قَبِيحَهُمْ وَتُصَدِّقُوا كَذِبَهُمْ فَأَعْطُوهُمُ الْحَقَّ مَا رَضُوا

بِهِ فَإِنْ تَجَاوَزُوا فَمَنْ قُتِلَ عَنْ ذَلِكَ فَهُوَ شَهِيدٌ

هل ينطبق هذا على رؤسائنا الآن فيقتلون مرءوسيهم أدبيا وماديا و بالتشريد وانزال الدرجات يجب أن يكتب هذا الحديث فى الدواوين والمصالح

وقال ﷺ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا

الخريف قيل أنه يوم وقيل شهر وقيل سنة ، وقوله لا يلقى لها بالا أى أنها تصدر منه بغير تدبر فى نتائجها فيسهل عليه النطق بها كـكلمة زور أو غيبة او نميمة أو سباب إلى غير ذلك مما يخف على اللسان ويغضب الرحمن

الباب الرابع عشر — فى الشهادة

قال الله تعالى ولا يأبَ الشُّهَدَاءُ إذا مادُعُوا

أى لا يمتنع عن الشهادة من دعى اليها بل يجب عليه أن

يؤديها لتوقف إثبات الحق عليها فكتمانها حرام لما فيه من إضاعة الحقوق ، وقد سار الناس على كتمانها وتعللوا بتعللات لا تخلصهم من المسئولية بين يدى الله كقولهم لا دخل لى . وأنا مالى والشهادة وغفلوا عن قول الله تعالى وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ فقد جبنوا عن شهادة الحق واجترءوا على شهادة الزور فقل أنصار الحق وكثر أنصار الباطل

قال ﷺ أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ وَكِتْمَانُهَا — كما قال ﷺ مَنْ شَهِدَ شَهَادَةَ زُورٍ عَلَى مُسْلِمٍ أَوْ ذِمِّيٍّ أَوْ مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ عُلِّقَ بِلِسَانِهِ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ جَهَنَّمَ وقال شَاهِدُ الزُّورِ لَا تَزُولُ قَدَمَاهُ حَتَّى يُوجِبَ اللهُ لَهُ النَّارَ

أى لا ينتقل من المكان الذى شهد فيه الزور إلا وقد قضى الله عليه بالنار

وقال ﷺ إنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ والْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وإنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ولَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ — إشارة إلى الآية وهى قوله تعالى (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا)

كرر فيها العسر مقرونا بالألف واللام فيكون العسر الثانى عين العسر الأول لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عينا وكرر اليسر غير معرف بالألف واللام فيكون غير الأول فوضح أن فى الآية يسرين يقابلهما عسر واحد ولن يغلب عُسْرٌ يُسْرَيْنِ

وقال إذا عَمَّتْ الْخَطِيئَةُ فى الأرْضِ كانَ مَنْ شَهِدَهَا فأنْكَرَهَا كَمَنْ غَابَ عَنْهَا ومَنْ غابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا كانَ كَمَنْ شَهِدَهَا

فشاهدة المعصية معصية وكذا حضور مجلسها أو الرضى بها وعن بن العربى (العرش جوهرة تتلألأ نورا فلا يكون

العبد على حال إلا انطبع مثاله فى العرش على الصورة التى كان عليها ، فاذا كان فى سكرات الموت كشف له صورته فى العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية ، وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذه من الحياء والخجل ما يجل عن الوصف . فالعرش كآلة التصوير

الباب الخامس عشر — فى الربى

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربى إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله)

الناظر فى قوله إن كنتم مؤمنين يدرك أن من تعاطى الربى اما أن يكون غير مؤمن . كالكافر والمستحل له . وإما أن يكون ضعيف الايمان ، وحرب الله للمرابى هو تخريب البيوت فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة ، وحرب الرسول مقاتلته له بالسيف

من جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربي وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء

كما حرم مطل المدين الغني — قال ﷺ مطل الغني ظلم — وقال صاحب الدين مغلول في قبره لا يفكه إلا قضاء دينه

وقال تعالى في جانب الرشوة لتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم

لهذا قال صلى الله عليه وسلم من كان لأخيه مظلمة عنده من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر

مَظْلَمَتِهِ وإنْ لم يَكُنْ له أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ فَجُعِلَتْ عَلَيْهِ — وقال أتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ قالوا يارسول الله الْمُفْلِسُ فِينا مَنْ لا دِينارَ لَهُ ولا مَتاعَ قال الْمُفلِسُ مَنْ يَأتِي يومَ الْقِيامَةِ بِصَلاةٍ وزَكاةٍ وصِيامٍ ويَأتِي وقد شَتَمَ هذا وضَرَبَ هذا وأخَذَ مالَ هذا فيأخُذُ هذا مِنْ حَسَناتِهِ وهذا من حسناته فَإذا فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ سَيِّئاتِهِمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فى النارِ — وقال أعْجَلُ الأشياءِ عُقُوبَةً الْبَغْيُ وقال النبى ﷺ إنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظّالِمِ حَتّى إذا أخَذَهُ لم يُفْلِتْهُ

الباب السادس عشر — فى الغيبة

قال ﷺ يا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بلسانِهِ ولم

يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته

يشير إلى أن من اغتاب المسلم كأن حظه من الاسلام التلفظ به بلسانه ولم يستقر في قلبه

يقول صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى

ضابط عظيم وقاعدة عادلة فما اختل نظامنا الاجتماعي إلا بترك مراعاتها وهي قوله وليأت الى الناس ما يحب أن يؤتى

وقال إياكم والغيبة فإن فيها ثلاث آفات

لا يُستجاب لصاحبها دعاء ولا تقبل له حسنة وتتراكم عليه السيئات - ومن أكل لحم أخيه في الدنيا قدم إليه لحمه يوم القيامة ويقال له كله ميتا فقد أكلته حيا فيأكله ثم تلا قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه

أفلا يهز منا هذا الحديث القلوب ويرعد المفاصل ويكرهنا في الغيبة

وقال صلى الله عليه وسلم من اغتاب أخاه المسلم حول الله وجهه إلى دبره يوم القيامة وقال خمسة تحبط الأعمال الاشتغال بعيوب الخلق وقسوة القلب وقلة الحياء وطول الأمل وظالم لا ينتهي

وهل من ينهش الأعراض وينشر الفضيحة فى غيره يبقى له ثواب فى طاعة ، كما أن قسوة القلب لا تنشأ إلا عن فقدان الرحمة منه ، وقلة الحياء دليل ذهاب الخير ، وطول الآمال يغفل الإنسان عن فعل الخير ، والظالم الذى يتعدى على حقوق غيره من عرض أو بدن أو مال قد أغضب ربه والناس

وقال إذا وُقِعَ فى الرَّجُلِ وأنتَ فى مَلإٍ فكن لِلرَّجُلِ نَاصِراً ولِلقَوْمِ زَاجِراً أوْ قُمْ عَنْهُمْ

وقال مَنْ اغتَابَ فَقِيهاً جَاءَ يوم القيامةِ مَكتُوباً على وجهِهِ هذا آيِسٌ من رَحْمةِ اللهِ

سبق لك فى باب العلم أن تشديد الشارع فى غيبة العلماء ليس راجعا لأشخاصهم ، وإنما لما يحملون من شريعة الله ، فغيبتهم تؤدى إلى كراهية الناس لهم . وعند ذلك لا يأخذون عنهم دينهم فتتعطل وظيفتهم وتبقى الأمة جاهلة ، وفى هذا ما فيه الخسارة على الناس ، كما عرفت أنه ينبغى لنا أن نعتبرهم اعتبار

أرباب المهن : من أطباء ومهندسين وتجارين و حدادين فنأخذ عنهم ما ينفعنا ووزرهم على أنفسهم إن لم يعملوا

وقال الذَّنْبُ شُؤْمٌ على غَيْرِ فاعِلِهِ إنْ عَيَّرَهُ ابْتُلِيَ بِهِ وإنْ افْتَعَلَهُ أَثِمَ وإن رَضِيَ به شارَكَهُ فيهِ

الشؤم ضِدُّ التفاؤل الذى هو الاستبشار يعنى أنه يخشى عليه أن يصيبه من جراء ذنب غيره مؤاخذة إن لم يحترس. فأنه بأن عيرهُ بأن ذكر له ما وقع منه على وجه التشهير به أثم. وان ذكر ذلك فى غيبته فقد اغتابه. وان رضى بفعله ولم يغضب لله فقد أثم

وقال أتَدْرونَ ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ قيل وإن كانَ فيهِ ما أقُولُ قال إن كان فيه ما تقول فقد اغْتَبْتَهُ وإنْ لم يَكُنْ فيه فقد بَهَتَّه

أى اقتربت عليه فيكون هناك ذنبان . ذنب الغيبة وذنب

الافتراء عليه فانت ترى أنه صلى الله عليه وسلم لم يبح الغيبة مطلقا بحق و بباطل وأما قوله لا غِيبَةَ فِي فَاسِقٍ

فقد كثر كلام العلماء فيه ، فمن قائل انه فى المتجاهر الذى يرتكب الذنوب بغير اكتراس وأن يكون ذلك لا للتشفى ونشر الفضيحة بل لتحذير الناس منه أو لرجاء أن يبلغه كلام الناس فيه فيرتدع ومن قائل أن كلمة (لا) فى الحديث ناهية لا نافية ، وهذا هو ما يتفق مع ظاهر الحديث السابق ، . ولى كلمة هنا هى أن الفسق معناه الخروج عن حد الشرع فمن كذب فقد فسق ومن أخر الصلاة عن وقتها فقد فسق ومن سب غيره أو اغتابه أو نم بين الناس فقد فسق الى غير ذلك مما يعد خروجا عن حدود الشرع ومن دقق وجد أنه لا يكاد ينجو من الفسق أحد ، وغاية الأمر أن الناس فيه متفاوتون ، فمنا فاسق من وجه ومنا فاسق من وجوه فالتفاوت بيننا بالقلة فى الفسق والكثرة فيه بعد هذا هل يصح منا أن يغتاب أحدنا غيره بحجة أنه فاسق ويغفل عن انه هو فاسق . ليس هذا بعدالة - قال ابن عباس الغيبة إدام كلاب الناس

وقال صلى الله عليه وسلم مَا النَّارُ فى الْيَبَسِ بأَسْرَعَ مِنَ الغِيبَةِ فى حَسَنَاتِ الْعَبْدِ — وقال تَجَاوَزُوا لِذَوِى الْمُرُوءَاتِ عَنْ عَثَرَاتِهِمْ فَوَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَعْثُرُ وَإِنَّ يَدَهُ لَبِيَدِ اللهِ

ذوى المروءات سنعرفهم فى الحديث التالى : فأذا عثر أحدهم أى وقع فى مخالفة فلا تثقابوه فانه لعلمه بربه وخشيته منه يبادر بالتوبة ، والتوبة فيها صلح العبد على ربه كمن يصالح أخاه بعد خصام فيضع يده فى يده ،

وهذا معنى وإنَّ يَدَهُ لَبِيَدِ اللهِ فيأثم مغتابه وهو مغفور له . وذوو المروءة هم من قال فيهم نبينا مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فلم يَظْلِمْهُمْ وحَدَّثَهُمْ فلم يَكْذِبْهُمْ وَوَعَدَهُمْ فلم يُخْلِفْهُمْ فَهُوَ مِمَّنْ كَمُلَتْ مُرُوءَتُهُ وظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ وَوَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ وحَرُمَتْ غِيبَتُهُ — وقال اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ

قيل يارسول الله وما هُنّ؟ قال الشّركُ بالله والسّحرُ وقتلُ النّفسِ التي حرّمَ اللهُ إلا بالحقّ وأكلُ مال اليتيم والزّنى والتّولي يومَ الزّحف وقذفُ المُحصنَاتِ المُؤمنَاتِ

التولي هو الفرار من صف القتال لأنه قد يترتب على فرار واحد هزيمة الجيش لذهاب الروح المعنوية منه. لهذا كان الفرار كبيرة الكبائر؛ والمحصنات من العفيفات، وقتل النفس كذلك سواء قتله لغيره أو لنفسه، وقتل الغير يقول الله جل شأنه فيـــه

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا

ولا قول لقائل بعد قوله سبحانه ففيه من الوعيد والعذاب الشديد أعظم رادع

لهذا يقول نبينا لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ

أى لا تضر نفسك ولا غيرك

يقول ﷺ كَانَ رَجُلٌ بِرِجْلِهِ جِرَاحٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَدَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ — وَقَالَ إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ وَإِنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ وَلَا يَكْسِبُ مَالًا مِنْ حَرَامٍ فَيُنْفِقَ مِنْهُ فَيُبَارَكَ لَهُ فِيهِ وَلَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيُقْبَلَ مِنْهُ وَلَا يَتْرُكُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ وَإِنَّ اللهَ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ

أى لا يمحو المعصية بالمعصية كالأنفاق من المال الحرام رجاء المغفرة للذنوب ولكن يمحوها بالتوبة والتصدق من المال الحلال لقول الله سبحانه وتعالى

إن الحسنات يذهبن السيئات — وقال ما من مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين

قالت عائشة للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا تقصد أنها قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته

أى لغيرته وأنتنته . فالغيبة كغيرها من المعاصى لها نتانة فى أصحابها لهذا لا يدخلون الجنة إلا بعفو من الله أو بتوبة يطهرهم الله بها وإلا ألقوا فى النار لتستخلص منهم تلك العفونات حتى يصلحوا لدخول الجنة . ولا خلافهم فى المعاصى قلة وكثرة

تختلفت مددهم فى النار . فمن يوم إلى شهر إلى سنة إلى عشر إلى مائة إلى ألف إلى ما فوق ذلك

عَنْ جَابِرٍ إِنَّ رِيحَ الغِيبَةِ كَانَتْ تُوجَدُ فِى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ

ذلك لقلتها : أما فى هذا الزمان فقد كثرت وامتلأت منها الأنوف فلا تتميز رائحتها . ورد أن أهل المقابر يستجيرون من رائحة بعض الموتى . فالمخلص من كل هذا تجنب غيبة الناس بل والستر عليهم

لقول الرسول مَنْ رَأَى عَوْرَةَ أَخِيهِ فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءُودَةً

الباب السابع عشر — فى النميمة

قال الله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا

عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ

يصف الله النمام الواشي بين الناس بأنه فاسق لأنه يسعى وراء قطع الصلة بين اثنين وقلب صداقتهما عداوة وكثيرا ما يترتب على الوشاية نزاع وخصام ومضارة ، بل وقتل . لهذا حرمها الله وإن كانت صدقا أما إذا كان كاذبا فى وشايته فحرام عليه من وجهين . . الكذب والوشاية ، وسماه فاسقا . وأنت الآن تسمع الشخص يقول فى جانب الواشى : أخبرنى ثقة فكيف نوفق بين قوله هذا وقول الله فاسق عجيب هذا والله أفلم نكن مؤمنين والله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق . تشريع حكيم حيث أمرنا أن نتبين أى نتثبت من صحة الوشاية خشية أن نصيب البرىء بجهالة فنندم يوم العقاب لا يفيد الندم . ولما ترك الناس التبين وصدقوا الوشاة وأفسحوا فى صدورهم لم فتكنوا ضعاف النفوس من الإفساد بين رئيس ومرءوس وجار وصديق. لما صنعوا ذلك . . ساء الحال وانقلبت الصداقة عداوة . والقرب بعدا والمحبة كراهية

وقد أباح الشرع الكذب للاصلاح بين المتخاصمين لتخفيف حدة الخصام ولدفع ما قد ينتج عنه . فلك أن تقول لأحد المتخاصمين ما لم يقله الآخر ترقيقا للقلوب وإرجاعا للصلة أو على الأقل دفعا للشر . . ولكننا بدل أن نصنع ذلك فعلنا ضده فأزكينا نار العداوة وأوقعنا الناس فى أسوأ الأحوال . ومن دأب على ذلك فله سوء الحال

قال ﷺ ألا أُخبِرُكُمْ بِأفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ والصلاةِ والصَّدقةِ قالوا بَلى . قال إصْلاحُ ذَاتِ البَيْنِ وانَّ إفْسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ لا أقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ ولَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ

أى تقضى عليه كما تقضي الموسى على الشعر ما أبلغ هذا التشبيه

وقال لَيْسَ الكَذَّابُ الذي يُصْلِحُ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَيَنْمِي خَيْراً

لم يكتف الشارع باباحة الكذب فى هذا الباب . بل جعل

أجر المصلح أعظم من أجر الصوم والصلاة والصدقة من نوافل الخير . لهذا يجب أن يقبل المتخاصمان وساطة المصلح لقول النبي

آبى الصُّلْحِ نَدْمَانُ

فقد يترتب على بقاء الخصام هجران وهو منهى عنه لقول الرسول أيضا مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ الثَّلاثِ دَخَلَ النَّارَ

قال العلماء يجوز الهجر فى موضعين أحدهما أن يرى لنفسه سلامة فيه . الثانى أن يرى فيه اصلاحا للمهجور

لقول الرسول أيضا إلا أَنْ يَكونَ مَنْ لا تُؤْمَنُ بَوَائِقُهُ

أى شروره وقد نُزِّل عليه قول الحسن هجرانُ الأحمق قربة الى الله

لأن الأحمق لا يُرجى بُرْؤُهُ وقد ثبت هجر بعض الصحابة لبعضهم

وقال مَنِ اسْتَمَعَ إلى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ

صُبَّ فِي آذَانِهِ الْآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا وَلَيْسَ بِنَافِخٍ

الآنك الرصاص المذاب بالنار وقوله أن ينفخ فيها أى الروح كما قال لَعَنَ اللهُ الْمُصَوِّرِينَ

وأنت ترى الآن مجاراتنا لغير المؤمنين فى المباراة للتصوير وتقديرنا للمصورين وإقامة الذكريات لهم والتمجيد وغفلنا عن أن هذا تشبه بالله فى خلقه وتصويره ، ولهذا كان له هذا العذاب الشديد

الباب الثامن عشر — فى الكبر

قال ﷺ سِتَّةٌ يَدْخُلُونَ النَّارَ قَبْلَ الْحِسَابِ بِسِتَّةٍ قيل يارسول اللهِ وَمَنْ هُمْ قال الْأُمَرَاءُ بِالْجَوْرِ وَالْعَرَبُ بِالْعَصَبِيَّةِ وَالدَّهَاقُونَ بِالْكِبْرِ وَالتُّجَّارُ بِالْخِيَانَةِ وَأَهْلُ الرُّسْتَاقِ بِالْجَهَالَةِ وَالْعُلَمَاءُ بِالْحَسَدِ

الدهاقون هم رؤساء الأقاليم منهم وزير إلى مدبر الى مأمور إلى ضابط إلى عمده إلى غير ذلك ممن لهم إشراف على الخلق . وأهل الرمثاق هم أهل القرى . . سبق أن عرفت أن المراد بحسد العلماء ، حسد بعضهم لبعض، فكل يحب ألا يكون أقل من غيره فى العلم فاذا وجد من هو فوقه فيه وقعت الغيرة فى نفسه منه

وقال إذا أراد الله بقوم سوءا جعل أمرهم إلى مترفيهم

هم أهل النعمة البطرون المتكبرون ، فاذا كان الناس فى غير هدى سلط الله عليهم هؤلاء فيسومونهم سوء العذاب وفى الآخرة ينتقم الله من الجميع هؤلاء بظلمهم والآخرون بتقريظهم

وقال لا تغبطن فاجراً بنعمته فإنك لا تدرى ما هو لاق بعد موته إن له عند الله قاتلا

القاتل هو النار ، يعنى لا تحسد صاحب نعمة على نعمته إذا كان فاجرا فيها يستعملها فيما يغضب ربه

وقال انصُرْ أخاكَ ظالِمًا أوْ مَظْلُومًا. قيل ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالما قال تَحْجُزُهُ عَنِ الظُّلْمِ

وقال طُوبَى لِمَنْ تَواضَعَ فى غَيْرِ مَنْقَصَةٍ وذَلَّ فى نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَسْكَنَةٍ وأنْفَقَ مِنْ مَالٍ جَمَعَهُ من غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وخالَطَ أهْلَ الفِقْهِ والحِكْمَةِ ورَحِمَ أهْلَ الذُّلِّ والمَسْكَنَةِ طُوبَى لِمَنْ طابَ كَسْبُهُ وصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ وكَرُمَتْ عَلانِيَتُهُ وعَزَلَ عَنِ النّاسِ شَرَّهُ. طُوبَى لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ وأنْفَقَ الفَضْلَ من مَالِهِ وأمْسَكَ الفَضْلَ من قَوْلِهِ

قوله فى غير منقصة أى عيب، وقوله فى غير مسكنة أى مهانة وإلا كان ذلك تضييعا لا صلاحا، أنظر الى مثل سيدنا عمر فكان أكثر الناس تواضعا ومع ذلك هو أسد فلم يلحقه مع عظيم تواضعه منقصه ولم يذل فى ظاهره حتى تلحقه مهانه بل كان موفور الصحاحة والكرامة وهو فى نفسه ذليل بين يدى ربه

فصل الذلة القلب

وقال إذا رأيتم المتواضعين فتواضعوا لهم
وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم
فإن ذلك مذلة لهم وصغار

غير أن استعمال التكبر مع المتكبرين إذا لم نخش ضررهم بأن لم يكن لهم من المكانة والقوة ما يمكنهم من البطش بنا وإلا كنا قد ألقينا بأنفسنا فى التهلكة والله تعالى يقول

ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة

أنظر ما صنعه الرسول مع من يبغضه . من بشاشة حتى قيل له فى ذلك

فقال إنا نبش فى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم

سياسة حكيمة ومداراة للسفهاء . ودارهم ما دمت فى دارهم فينبغى مراعاة حسن تطبيق الشرعيات حتى لا تستعمل جزافا فتذهب حكمتها ويساء استعمالها

قال ﷺ المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز

القوى فى إيمانه هو الذى يستطيع أن يجهر بالحق وأن يقف فى وجه الباطل لهذا كان أفضل من الضعيف

الباب التاسع عشر — فى الأولياء

قال ﷺ لا يزال أربعون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم يدفع الله بهم عن أهل الأرض يقال لهم الأبدال — سئل رسول الله عن الأولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قال الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها واهتموا بآجل الدنيا حين اهتم الناس إلى عاجلها فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها

ما علموا أن يغفرهم. فما عارضهم من نائلها عارض إلا رفضوه ولا خادعهم من رقتها خادع إلا وضعوه. خلقت الدنيا في قلوبهم فلم يجددوها. وخربت بنيانهم فما يعمروها. وماتت في صدورهم فما يحيوها. يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها ليشتروا بها ما يبقى لهم نظروا إلى أهلها صرعى قد خلت بهم المثلات فما يرون أمانا دون ما يرجون ولا خوفا دون ما يحذرون (المثلات هي العقوبات)

الباب العشرون — في التوبة

قال الله سبحانه وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون

يأمرنا مولانا بالتوبة لأن فيها فلاحنا، وياله من فلاح

يمنحه الله من أجل كلمة واحدة يصدق فيها قائلها وهى قوله (تبت) كلمة ذات ثلاثة حروف يمحو الله بها جميع الذنوب ولو كانت تعادل الجبال وزنا . . فهل بعد هذا فلاح . فقد أكرمنا من أجل نبيه ورفع عنا الاصر الذى كان على الأمم السابقة فتوبتهم كانت بقطع جزء من الجسم على ما يقتضيه الذنب كبرا وصغرا . فمن قطع أصبع إلى قطع أذن الى أنف بل إلى قتل لنفسه إلى غير ذلك مما ينطبق عليه كلمة إصر بل كان يصبح المذنب فيجد مكتوبا على بابه فلان فعل كذا فى حين أنه أمرنا بالستر على أنفسنا وغيرنا وعاقب من فضح نفسه أو غيره

يقول جل شأنه فى الأمم السابقة فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ

قال ﷺ يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالله إنى لأتوب الى ربى تبارك وتعالى مائة مرة فى اليوم

وكم نتوب نحن فى اليوم مع كثرة ذنوبنا ، والنبى لا يتوب من ذنب كما تعلم

وقال ﷺ لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة

فرح الله كناية عن قبوله لتوبة التائب وجازاته بالرحمة والغفران وأما الفرح الذي نعرفه من نفوسنا فستحيل عليه سبحانه

وقال ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ويصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر له ثم تلا قوله تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم عند ربهم لهم مغفرة وأجر عظيم — وقال إذا اقشعر جسد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات من الشجرة ورقها

فالاقشعرار دليل الإيمان ولكون الانسان غير معصوم فتح الله له باب رحمته فاذا خشي من عذاب ربه عند مايقع في الذنب غفر الله له

وقال قال الله تعالي لو لقيني عبدي بقراب الأرض ذنوباً لقيته بقراب الأرض مغفرة (أي بوزنها) وقال نبيه إن الله يدني المؤمن يوم القيامة مسيرة من الناس فيقول أي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم حتى إذا قرره بذنوبه قال تعالي سترتها عليك في وقد غفرتها لك اليوم وتطوى كتاب حسناته وأما الكافر فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم

بالطبع ليس هذا الاكرام لكل مؤمن وإنما هو لمن قدم الترضية لربه فأصلح بعد أن أفسد

وقال إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار

وقال إنّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ باللّيلِ ليتوبَ مُسيءُ النهارِ ويَبسُطُ يدهُ بالنّهارِ ليتوبَ مسيءُ اللّيلِ حتّى تَطْلُعَ الشّمسُ منْ مَغْرِبِها

معلوم أنه لايد لله سبحانه وإنما هذا كناية عن قبوله لتوبة عباده اذا ما التجأوا اليه على وفق المتعارف بين الخلق فى أنه إذا رغب أحد المتخاصمين فى اعادة علاقته بالآخر يمد يده اليه

وقال لَوْ لم تذنبُوا وتَستغفروا لذهبَ اللهُ بِكُمْ ولَجاءَ بِقَوْمٍ غيرِكُمْ يُذنبُونَ ويَستغفرُونَ فيَغفرُ اللهُ لهُمْ

ذلك لأن الله سبحانه غافر غفور غفار فلابد من أن يكون هناك ذنوب من الخلق ، غفران من الخالق والا لتعطلت صفات الله فيكون غافرا بلا مغفرة وهذا مستحيل

ولهذا يقول ﷺ كُل بَني آدم خطّاءُون وخيرُ الخطّائينَ التوّابُونَ المُستغفرُونَ — كما قال ما

أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة

غير أنه يجب أن تكون توبته صادقة والا فلا تقبل منه توبته وكان كالمستهزىء بربه

لقوله ﷺ المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزىء بربه — وقال المؤمن واهٍ واقع وخيرهم من مات على رقمه

قوله واهٍ بذنوبه أي شاقط وهالك . وقوله واقع أي بالتوبة وغير أهل الذنوب التائبون لانهم أنذروا أنفسهم بالتوبة

قال الله في الحديث القدسي ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم

فبعد دخول الجنة بمقتضى الرحمة يقتسم الله لنا طاعتنا فنقتسم الجنة بالاعمال كل على قدر عمله

ويقول صلى الله عليه وسلم أمتي أمة مرحومة

تدخل قبورها بذنوبها وتخرج من قبورها
لا ذنوب عليها تغص بها بالمغفرة
المؤمنين لها — كما قال — يأتي كل واحد من
أمتي يهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول
هذا فداؤك من النار فيلقى فيها

هذا للموعود فسأل الله ذلك

رفع رسول الله يديه وقال اللهم أمتي وبكى
فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد واسأله ما يبكيك
وهو أعلم به فأتى جبريل وسأله فأخبره بما قال
فأخبر جبريل ربه وهو أعلم به فقال الله يا جبريل
اذهب إلى محمد وقل له إنا سنرضيك في أمتك
ولا نسوءك

يبكي عليه الصلاة والسلام من أجلنا ولا نبكي نحن من

أجل أنفسنا

ولما انظر الله إلي ابليس قال وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح قال الله تعالى لا أمنعهم التوبة ما دامت أرواحهم في أجسادهم قال لأغوينهم أجمعين قال تعالى لاحكفرن عنهم سيئاتهم فقال لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فلما قال ذلك رقت قلوب الملائكة على البشر فأوحى الله إليهم أن بقي للانسان جهة الفوق وجهة التحت فإذا رفع يديه بالدعاء على سبيل الخضوع أو وضع جبهته على الارض على سبيل الخشوع غفرت له الذنوب ولا أبالي

عن ، عباس من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق

مخرجا ومن كل هم فرجا

وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ

فالاستغفار خير كله فى جانب الدنيا والاخرة ففى الدنيا غفران الذنوب وجلب الرزق ومنح الأولاد وفى الاخرة جنة ورضوان

قال الله تعالى اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً

وقال إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغره (أي ما لم تصل الروح الحلقوم فيتحقق الموت فيتوب لقول الله تعالى) (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ

إنى تبت الآن — وقال التائب حبيب الله . والتائب من الذنب كمن لا ذنب له — وقال إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ

وأعظم حسنة بعد السيئة التوبة

وقال اربعوا بأنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعا بصيرا

رفعوا مصاحفكم

أى أشفقوا على أنفسكم فى الدعاء فلا ترفعوا أصواتكم فذلك سوء أدب بل من ظن أى الله لا يسمعه إلا برفع صوته كفر . وأنت ترى الان سوء أدب الداعين خصوصا فى المساجد وهو سوء أدب آخر بحرمة بيت الله . وانهم اذا ماناجوا عظيما خفضوا أصواتهم فأدبهم مع المخلوق فى نفسه وفى بيته أكثر ما فى جانب الخالق وفى بيته

قال تعالى فى الحديث القدسى إذا وجهت إلى

عبدٍ من عبيدي مصيبةٌ في بدنه أو ماله أو ولده
ثم استقبل ذلك بصبرٍ جميل استحييت منه
يوم القيامة أن أنصب له ميزانًا أو أنشر له ديوانًا

الاستحياء كما تعلم مستحيل عليه تعالى والمعنى انه يصنع معه
كما يصنع المستحيل وهو كناية عن التجاوز عن كل ما وقع منه

قال يا علي ما أصابكم من مرضٍ أو عقوبةٍ
أو بلاءٍ من الدنيا فبما كسبت أيديكم والله سبحانه
وتعالى أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة في
الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فإنه أحلم من
أن يعود بعد عفوه

وقال إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على
أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني وإن
كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين تذهبون

بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعه لصعق — وقال اسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه على رقابكم وقال من شهد الجنازة حتى يصلى فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل وما القيراطان قال مثل الجبلين العظيمين

وقال ﷺ أي مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة فقلنا وثلاثة قال وثلاثة قلنا واثنان قال واثنان ولم نسأله عن الواحد — وورد أن الله سبحانه يقول عند ذلك قد قبلت قولكم وغفرت له ما لا تعلمون

الباب الحادي والعشرون — فيما عند الموت وفيما بعده

قال ﷺ بادروا بالأعمال ستا. فهل تنتظرون

إلا فقراً مُنْسِياً أو غِنًى مُطْغِياً أو مَرَضاً مُفْسِداً أو مَوتاً مُجْهِزاً أو الدَّجَّالَ . فشرُّ غائبٍ يُنتظرُ او الساعةَ والساعةُ أدهى وأمرُّ

في قوله تعالى واستمعْ يومَ يُنادِ المُنادِي

قال نبينا هو اسرافيلُ للخروجِ من القبورِ فينفخُ في الصورِ مُنادِياً أيتُها العظامُ البالِيةُ والأوصالُ المُتقطِّعةُ واللحومُ المُتمزِّقةُ والشعورُ المُتفرِّقةُ انَّ اللهَ يأمرُكُنَّ أنْ تجتمعْنَ لفصلِ القضاءِ

وقال إذا كانَ يومُ القيامةِ جمعَ اللهُ الأوَّلينَ والآخرينَ ثمَّ يُنادِي مُنادٍ من عندِ اللهِ : مَن كانَ يَطْلُبُ مَظْلَمَتَهُ فليجئْ إلى حقِّهِ فليأخذْهُ قال فيَفرَحُ المرءُ أنْ يكونَ لهُ الحقُّ على والدِيهِ أو ولدِهِ أو زوجتِهِ أو أخيهِ فيأخذُهُ منهُ وإنَّ

كانَ صغيراً ، ومصداقُ ذلك في كتابِ اللهِ تعالى فإذا نُفِخَ في الصورِ فلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون

لمناسبة قوله تعالى حكاية لدعاء الملائكة للمؤمنين « ربنا وأدخلهم جناتِ عدنٍ التي وعدتهم ومن صلحَ من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم

وردَ أنَّ المؤمنَ إذا دخلَ الجنةَ قال أينَ أبي وأينَ أمي وأينَ ابني وأينَ زوجي فيقال إنهم لم يعملوا عملكَ فيقول إني كنتُ أعملُ لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنةَ فإذا اجتمعَ بأهلهِ في الجنةِ كانَ أكملَ لسرورهِ ولذتهِ

وقال إنَّ الرجلَ يقول في الجنةِ ما فُعِلَ بصديقي فلانٍ . وصديقهُ في الجحيم فيقول الله عزَّ وجلَّ

أخرجوا له صديقه إلى الجنة . فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم

وقال ﷺ أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل معلقة في ظل العرش

أرواح الشهداء في إطلاق وان كانت الأجسام في قبورها والارواح لا تأكل ولا تشرب فيخلق الله لها أجسام طيور لتتمتع بنعيم الجنة بواسطة تلك الطيور وهذه كرامة المؤمنين يتمتعون بنعيم الجنة مدة البرزخ أي القبر الى أن يجيء يوم القيامة فتلبس الارواح أجسامها وتدخل الجنة وهذا معنى فتوى الشيخ عليش بأنهم يأكلون ويشربون ويتناكحون

وقال ﷺ ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من القرصة — وقال اشتاقت الجنة إلى علي وصهيب وبلال والنار تهابه

وهو في غيبة عنها

وجا في الحديث أن النار تقول يوم القيامة جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي — وقال إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادٍ إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً فذلك قوله تعالى ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون قال أحد الافاضل :

بستة قد خص أهل الجنه لا بول لا غائط لا جنه

ولا لحى فيها ولا أحنانا والنوم منفي كذا اتانا

(أجنه) أي لا حبل ولا ولادة

وهذا آخر ما تيسر لي جمعه في هذا الكتاب فلله الحمد في البدء والنهاية والصلاة والسلام على نبيه صاحب الرسالة وكذا الأنبياء والاهل والصحابة

صفحة	خطأ	صواب
١٠	حبك	حبك
١٢	لمن	لمن
١٥	مقدما أمر الدنيا على امر الآخرة	مقدما أمر الاخرة على امر الدنيا
١٨	فى الرذلة	فى الرذالة
٢٨	حديث أقبلوا على ما كلفتموه قال بعض المحدثين هو موضوع من حيث نظمه وإن كان صحيحا من حيث معناه	
٣٣	ذكركم زادكم	ذكركم زادكم
	رغبكم	رغبكم
٣٤	تناولوهم	تناولوه
٣٨	يكون	يكون
٤٢	فلا تعتدوا	فلا تعتدوا
٤٧	ينكحها	ينكحها
٤٨	تسألنا	تسألنا

صفحة	خطأ	صواب
٥٣	النافع	المانع
٥٤	الوهن	الوَهْن
٦١	بالشر	بالشَّر
٦١		الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء
٦٤	لأن لا يدخله	يَدْخُلَه
٦٥	ولم تهيئوا لها	ولم تَهيَّؤوا له
٦٥	فى رَوْعِى	فى رُوِيِّى
٦٧	كل راع	كُلّ رَاعٍ
٧٢	نبيكم	نَبِيُّكُمْ
٨٣	مما فى أيدى الناس	الناس
٨٣	ذاماً	ذامّاً
٨٤	تظالموا	تَظَالَموا
٨٥	أنكم تخطئون	إنَّكُمْ
٨٥	المخيط	المِخْيَطُ

صفحة	خطأ	صواب
٩١	تصدق خفي	أخفى
٩٢	يعود الل	يعود الماء
٩٥	سكين	سكّين
٩٧	فتتعلم	فتتعلّم
٩٨	ولا يضرك	ولا يضرّك
١٠٠	فقد أخذه	فقد أخذ
١٠٢	فيقولوا	فيقول
١٠٢	تلاميذتك	تلامذتك
١٠٧	مريم	مَريَم
١٠٨	ولا يرحم	ولا يرحمُ
١١٦	لا تعد بواحده	بواحد
١٣٣	صبيانكم	صبيانَكُم
١٣٨	ولله	ولله
١٤٠	الجليد	الجليدَ
١٤١	فشفى	فشفني

صفحة	خطأ	صواب
١٤٣	سَمَى	سَرَقَ
١٤٧	هى ما اتفم	هما ما ارتفم
١٥٢	والهزمتان	والهزمتان
١٥٥	وليمسكهُ	وليُمْسكهُ
١٥٦	ما يصلحك	ما يُصلحُكَ
١٥٦	فان يجلسه	فان لم يُجلسه
١٥٨	معرف	معروفٍ
١٦٠	حوائج	حوائجَ
١٦٦	والافلاس	والافْلاسِ
١٦٨	إذا كان يوم	يَوْمُ
١٧٤	خبثت	خَبَثَتْ
٢٠٧	لا يطلع شرين	تَشْرِيفْ
٢٠٨	وَلِدِهِ	وَلَدَهُ
٢٢٢	وقد رَبَعَ الله	وقد رَفَعَ

obeikandl.com